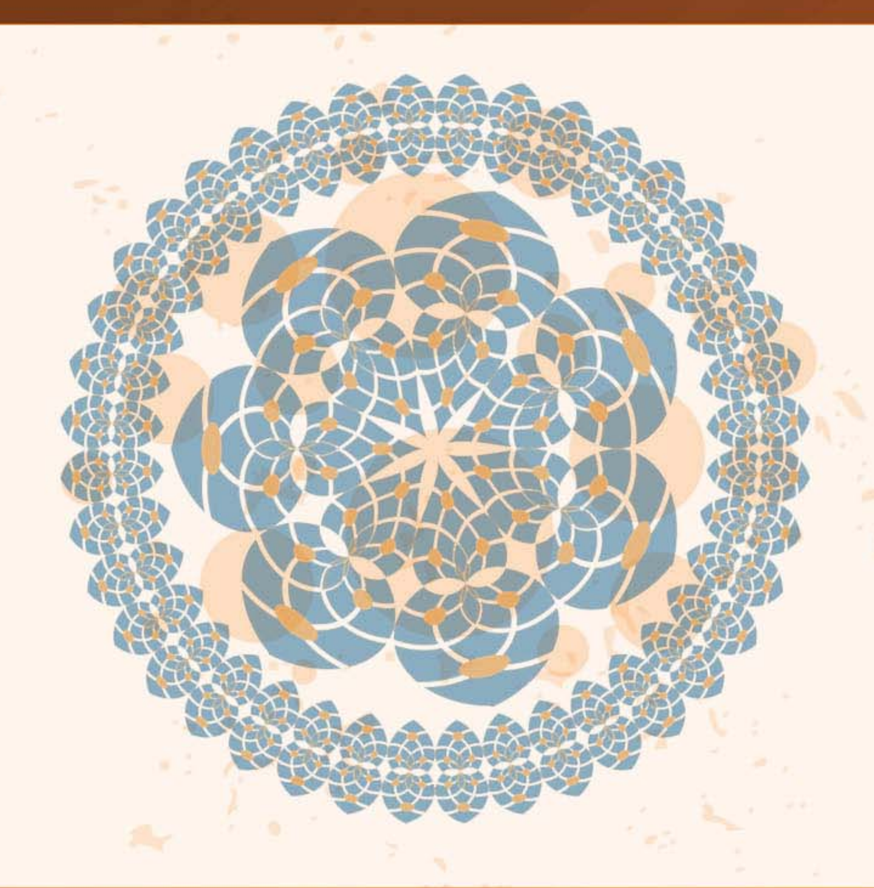
نبذ في أدب الطلب

من مؤلفات الحافظ ابن رجب



مثنى نازك نواف



نبذ في أدب الطلب من مؤلفات

الحافظ ابن رجب

جمع وترتيب

أبي الحسن العراقي الأثري

-غفر الله له ولوالديه-

((الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ. فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ: زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ))

[مدراج السالكين (٢/٢٩٤)]



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْقُدْرَةِ وَالْجَلَالِ، وَالنِّعَمِ السَّابِغَةِ وَالْإِفْضَالِ، الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمَعْرِفَتِهِ، وَهَدَانَا إِلَى الْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، السَّامِي بِفَضْلِهِ عَلَى سَائِرِ الْعَالَمِينَ، الطَّاهِرِ الْأَعْرَاقِ، الشَّرِيفِ الْأَخْلَاقِ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ الْكَرِيمُ مُخَاطِبًا لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) [القلم: ٤] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ، وَأَزْلَفَ مَنْزِلَتَهُ لَدَيْهِ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ وَأَقْرَبِيهِ وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ وَتَابِعِيهِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، دَائِمًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ[١]:

الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبداً.فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث.وبعد:

فإن من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه – عز وجل- الفقه في دينه ، وهو من علامات رضى الله على العبد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((..وَكُلُّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَا بُدَّ أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ فَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا...))[٢] ؛ لهذا يجب على المسلم الحرص على التفقه في دين

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١\٧٥) ، ت : د. محمود الطحان ، ط : مكتبة المعارف – الرياض

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٨٠)

الله عز وجل وخصوصاً في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن والمحن التي لا سبيل إلى الخلاص منها إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أهل القرون الأولى ، ولا يكون هذا إلا بطلب العلم الشرعي على هدي السلف الصالح رضي الله عنهم. ومن أعظم الأمور التي كان يهتم بها السلف الصالح ويحرصون عليها في جميع أحوالهم : التأدب بأدب الطلب[٣].

قال الإمام مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري رحمه الله (ت :٣٦٠هـ) في طلاب العلم : ((لِهَذَا الْعَالِمِ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ شَتَّى ، وَمَقَامَاتٌ لَابُدَّ لَهُ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا ، فَهُوَ مُسْتَعْمِلٌ فِي كُلِّ حَالٍ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ. فَلَهُ صِفَةٌ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ: كَيْفَ يَطْلُبُهُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ فِي كَثْرَةِ الْعِلْمِ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ فَيُلْزِمُهُ نَفْسَهُ. وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا جَالَسَ الْعُلَمَاءَ: كَيْفَ يُجَالِسُهُمْ؟ . وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: كَيْفَ يَتَعَلَّمُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ؟ . وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا نَاظَرَ فِي الْعِلْمِ: كَيْفَ يُنَاظِرُ؟ . وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا أَفْتَى النَّاسَ: كَيْفَ يُفْتِي؟ وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يُجَالِسُ الْأُمَرَاءَ ، إِذَا ابْتُلِيَ بِمُجَالَسَتِهِمْ؟ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجَالِسَهُ ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ؟ . وَلَهُ صِفَةٌ عِنْدَ مُعَاشَرَتِهِ لِسَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ. وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؟ قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ حَقٍّ يَلْزَمُهُ مَا يُقَوِّيهِ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ ، وَقَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنْ شَرِّهَا فِي دِينِهِ ، عَالِمٌ

(٣) ((قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رحمه الله :" لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ بِنَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُزَيِّنْ عَمَلَهُ بِالْأَدَبِ" رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي تَارِيخِهِ وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا : "طَلَبْتَ الْعِلْمَ فَأَصَبْت فِيهِ شَيْئًا، وَطَلَبْتَ الْأَدَبَ فَإِذَا أَهْلُهُ قَدْ مَاتُوا")) [الآداب الشرعية لابن مفلح (٥٥٢/٣)].



بِمَـا يَجْتَلِـبُ بِـهِ الطَّـاعَاتِ ، عَالِـمٌ بِمَـا يَـدْفَعُ بِـهِ الْبَلِيَّـاتِ ، قَـدِ اعْتَقَـدَ الْأَخْلَاقَ السَّنِيَّةَ ، وَاعْتَزَلَ الْأَخْلَاقَ الدَّنِيَّةَ))(٤)

وإني رأيـت في هـذا الزمـان تقصـيراً واضـحاً في هـذا الجانـب- إضـافة إلى جانب التقاعس عن طلـب العلـم -، ويجـب عـلاج هـذا الامـر بالتوجيـه الشرـعي الصـحيح ، ومـن أفضـل الوسـائل الـتي أهـتم بهـا أهـل العلـم وطلابـه-قـديماً وحـديثاً- تصـنيف الكتـب؛ لعظـيم أثـره وتعـدي نفعـه ودوامه(٥) ...

ثـم يسرـ الله تعـالى لي –وأنـا اليـافع الشـاب- أن أكتـب في هـذا الموضـوع المهم ، فتأملت بعـض مـا كُتِـب في هـذا البـاب ، فقلـت : لعـلي أن أكتـب

---

(٤) أخلاق العلماء للحافظ أبي بكر الآجري ص٤٧ ت: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية

❖ قال العلامة بكر بن عبد الله : ((لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الأدب، ومكارم الأخلاق، والهدى الحسن، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام، وأن العلم - وهو أثمن درة في تاج الشرع المطهر - لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إما على وجه العموم لكافة العلوم، أو على وجه الخصوص، كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المحدث، وآداب المفتي، وآداب القاضي، وآداب المحتسب، وهكذا ...)) [حلية طالب العلم ص١٣٨ ، مطبوع ضمن المجموعة العلمية]

(٥) يلوح الخط في القرطاس دهرًا ... وكاتبه رميم في التراب
خرجت من التراب بغير ذنب ... وعدت مع الذنوب إِلَى التراب



كلمة تكون سبب نجاتي من النار[٦]، فأحببت أن أُثري هذا الباب بشيء جديد ؛ فقررت أن أطرح الموضوع من جانب إيماني تربوي ، ومن خلال إطلاعي على كتب أهل العلم وجدت كلاماً متيناً جميلاً للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى ، لكنه متفرقاً ،فاستعنت بالله –عز وجل- على جمع هذا المتفرق في مصنف واحد ، تسهيلاً على طلاب العلم ومن رام أن يجد مظان كلام الحافظ في هذا الباب...

وبعد جمعي للمادة العلمية ، رجعت إلى جملة من كتب أهل العلم في هذا الباب ؛ لأرتب المادة العلمية ، فمن تلك المراجع : "أخلاق العلماء "للإمام أبي بكر الآجري[٧] رحمه الله (ت : ٣٦٠ه)[٨] ، و"الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للإمام أبي بكر أحمد بن علي الشهير بالخطيب البغدادي رحمه الله[٩] (ت :٤٣٦ه) ، و"جامع بيان العلم وفضله" للإمام

(٦) ((كان الإمام أحمد بْن حنبل يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول هذه سرج الإسلام وكان هو يحمل المحبرة عَلَى كبر سنه فَقَالَ لَهُ رجل إِلَى متى يا أبا عَبْد اللَّهِ فَقَالَ المحبرة إِلَى المقبرة))

(٧) ((هو الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الحَرَمِ الشَّرِيْفِ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَبْدِ اللهِ البَغْدَادِيُّ الآجُرِّيُّ، صَاحِبُ التَّوَالِيفِ، مِنْهَا: كِتَابُ (الشَّرِيعَةِ فِي السُّنَّةِ) كَبِيْرٌ، وَكِتَابُ (الرُّؤْيَةِ) ، وَكِتَابُ (الغُرباءِ) ، وَكِتَابُ (الأَرْبَعين) ، وَكِتَابُ (الثَّمَانِيْنَ) ، وَكِتَابُ (آدَابِ العُلَمَاءِ) ، وَكِتَابُ (مَسْأَلَةِ الطَّائِفِيْنَ) ، وَكِتَابُ (التَّهَجُّدِ) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ)[سير أعلام النبلاء (١٦\١٣٣-١٣٤) ط : الرسالة]

(٨) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : ((وقد صنَّفَ أبو بكر الآجري -وكان من العُلَمَاء الربَّانيين في أَوائلِ المائةِ الرابعة- مصنفًا في "أخلاق العُلَمَاء وآدابهم" وهو من أجلِّ ما صُنِّف في ذلك، ومن تأمَّله علمَ منه طريقة السَّلفِ من العُلَمَاء، والطرائقَ التي حَدَثَتْ بعدهم المخالفةَ لطريقتهم)).[مجموع رسائل ابن رجب (١\٧٢)]

(٩) ((هو الإِمَامُ الأَوْحَدُ، العَلاَّمَةُ المُفْتِي، الحَافِظُ النَّاقِدُ، مُحَدِّثُ الوَقْتِ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ ثَابِتِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مَهْدِيٍّ البَغْدَادِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَخَاتِمَةُ الحُفَّاظ)).[سير أعلام النبلاء (١٨\٢٧٠)]





الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله[10] (ت :٤٦٣هـ) ، و " حلية طالب العلم" للعلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله (ت :١٤٢٩هـ) .

وختاماً اقول : إن هذا الجمع وإن قد حوى من الخير الكثير –الذي أسأل الله أن يقبله مني- فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فهو المحمود والمستعان وما كان فيه من خطأ فم مصنفه ومن الشيطان والله بريء منه ([11]

وكتب

أبو الحسن العراقي الأثري

مثنى بن نازك بن نواف المعاضيدي ثم الشمري

العراق / الأنبار /المعاضيد

/محرم/١٤٣٥

(١٠) ((هو الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، حَافِظُ المَغْرِبِ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو عُمَرَ يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عَاصِمٍ النَّمَرِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، المَالِكِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الفَائِقَة))[سير أعلام النبلاء (١٨\١٥٣)].

(١١) قال ابن رجب رحمه الله تعالى : ((وَيَأْبَى اللَّهُ الْعِصْمَةَ لِكِتَابٍ غَيْرِ كِتَابِهِ، وَالْمُنْصِفُ مَنِ اغْتَفَرَ قَلِيلَ خَطَأِ الْمَرْءِ فِي كَثِيرِ صَوَابِهِ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِصَوَابِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا اجْتِنَابَ أَسْبَابِ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ لِمَنْ سَأَلَ، لَا يُخَيِّبُ مَنْ إِيَّاهُ رَجَا وَعَلَيْهِ تَوَكَّلَ)) [مقدمة القواعد الفقهية لابن رجب]



ترجمة الحافظ ابن رجب رحمه الله

هو الحافظ زين الدّين وجمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرئ المحدّث شهاب الدّين أحمد بن الشيخ الإمام المحدّث أبي أحمد رجب عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب لقب جدّه عبد الرحمن، الشيخ الإمام العالم العلّامة، الزاهد القدوة، البركة، الحافظ، العمدة، الثقة، الحجّة، الحنبلي المذهب.

قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع أربعين وسبعمائة،

❖ شيوخه :

١- العلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) حيث لازمه ابن رجب نحوًا من سنة وقرأ عليه من تصانيفه النونية " الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية " وهو دون الخامسة عشرة من عمره.

٢- الفقيه ابن النباش الحنبلي، حيث قرأ عليه مختصر الخرقي في فقه مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وسمع عليه أجزاء كثيرة من مصنفاته، ولازمه حتى مماته.

٣- الحافظ الجمال داود بن العطار (٧٥٢هـ) ، وسمع منه بدمشق مسند الإمام أحد كاملاً.

٤- الحافظ المحدث أبو الفتح محمد بن محمد الميدومي (٧٥٤هـ) وسمع منه الحديث، وهو أحفظ أهل عصره، وقد أخذ عنه بمصر.



٥- الفقيه القاضي حمزة بن موسى المعروف بابن شيخ السلامية (ت ٧٦٩هـ) وهو من أصحاب ابن تيمية.

٦- الحافظ أبو سعيد الخليل العلائي (٧٦١هـ) سمع منه الحديث بالقدس.

٧- الشيخ الفقيه ابن قاضي الجبل (٧٧١هـ) وعنه تلقى الفقه وغيره، وخلفه على درسه في حلقة الثلاثاء بالجامع الأموي، وهي خاصة الحنابلة ولا يليها إلا كبير فقهائهم.

❖ مكانته العلمية :

بلغ الحافظ ابن رجب في رحلته العلمية مبلغًا كبيرًا، حتى أضحت له مكانة علمية مرموقة، تميزت في أربعة محاور:

أ- المكانة العقدية: وفيها بلغ الحافظ رتبة العلم والتحقيق، فلا تذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، ومذهب السلف الصالح من أهل الحديث إلا ويشاد بدعاته ومن كوكبتهم الحافظ ابن رجب الحنبلي، وكتب فيها خصوصًا: " فضل علم السلف على علم الخلف " و" تحقيق كلمة الإخلاص " فضلاً عن حفاوته وعنايته وتحقيقه لعقيدة السلف في ثنايا كتبه الأخرى.وأضحى ابن رجب ثالث ثلاثة: ابن تيمية وابن القيم في تعويل أئمة الدعوة السلفية المعاصرة في تجديد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن بعده.

ب- المكانة الحديثية: وقد حظي فيها الحافظ ابن رجب بالمنزلة الرفيعة، فقد أسهم فيها بتآليق بديعة، وفاق كثيرًا من أهل



العلم بالتحقيق والتدقيق والعودة بالركب الحديثي إلى منهج العلماء الأوائل الكبار، وذلك من توفيق الله له حيث توجه صغيرًا لسماع الحديث، وتحصيل مسموعاته وإجازاته، وعواليه وفوائده علمًا وسندًا وقد أثنى عليه في ذلك كبار العلماء كابن حجر العسقلاني، ولا شك أن من طالع كتبه المصنفة " كفتح الباري في شرح صحيح البخاري " و " وشرحه الجامع الصحيح للترمذي " و " جامع العلوم والحكم " فضلاً عن تحقيقه وإبداعه في " شرحه علل الترمذي " يدرك هذه المنزلة العالية.

ت- المكانة الفقهية: وقد تبوأها الحافظ ابن رجب الحنبلي لدى فقهاء الحنابلة بالخصوص، فأضحى عندهم الفقيه المقعِّد، والمفتي المجتهد. ومما خدم به مذهب الحنابلة مما يدل على رسوخه وإمامته فيه كتابان هما:

١- القواعد الفقهية: ضبط فيه (١٦٠) قاعدة تضبط أصل المذهب، وفروعه مما كادت تغيب. فأضحى من نوادر التصانيف في هذا الفن ليس لدى الحنابلة فحسب بل ولدى غيرهم.

٢- ذيل " طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ": ترجم فيه لجملة من العلماء الحنابلة في نحو (٣٠٠) سنة، وضمن تراجمهم الفوائد الفقهية والغرائب العلمية، والتميز العلمي وتعداد النوادر والمواقف والمؤلفات والمأثورات نظمًا ونثرًا.

ث- زهده وورعه: وقد جدّد رحمه الله الزهد العفيف والمنضبط بمقاصد الشريعة والمستقيم باستقامة الوصية الشريفة: الكتاب والسنة، كما خلّصه من شوائب زهد الصوفية، وشطحات المبتدعة، وجعله كحال الصحابة ومسالك علماء التابعين وفقهاء المسلمين المعتبرين.

ومع هذا فقد امتحن الحافظ بسبب مذهبه السلفي، وفقهه المعدل على الدليل صحيح التعليل من باب الحسد والغيرة تارة، ومن باب البدعة والهوى تارة أخرى، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

❖ تلاميذه :

وقد أخذ العلم عن الحافظ ابن رجب الحنبلي جماعة من العلماء، ازدادوا شرفًا به، أكثر مما تشرَّف بهم، ومنهم:

١- الفقيه علي البعلي، ابن اللحام (٨٠٣هـ) ، وقد لازمه وكتب بخطه أكثر كتبه.

٢- الحافظ علي بن الحموي (٨٢٨هـ) ، وقد لازمه وكتب كتابه شرح محرر المجد ابن تيمية.

٣- الفقيه أحمد بن نصر الله الحنبلي (٨٤٤هـ) .

وغيرهم كثير.





❖ مصنفاته :

من المطولات:

" فتح الباري " لكن لم يتمه، بل بلغ فيه إلى كتاب الجنائز، و" شرح الجامع الصحيح للترمذي " فهو في عشرين مجلدًا بل بلغ فيه إلى كتاب الجنائز.

❖ ومن المتوسطات:

١- " جامع العلوم والحكم " وهو شرح الأربعين حديثًا النووية مع تتمتها من جمعه وشرحه وتحقيقه.

٢- ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، وهو من نوادر كتب التراجم!

٣- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. رتبه حسب مناسبات العام وأشهره ومواسمه، وما يحسن للمؤمن استغلال عمره في عمله، وتوجيهه نحو مواسم الخيرات.

٤- كتاب الخراج، وهو رصيد فقهي اقتصادي مهم.

ومن مؤلفاته القصار:

شروحه الكثيرة على عدد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم نحو:

١- نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابن عباس.

٢- كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة.

٣- ذم المال والجاه.

٤- اختيار الأولى في شرح حديث اختلاف الملأ الأعلى.





مع العديد من الفتاوى والقواعد المصنفة في مناسبات لائقة بها، وقد كتب الله لمؤلفاته الرضى والقبول، والفرح والسرور لدى أهل العلم ومحبي السنة ..

قال ابن العماد : ((وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة وللناس عامة مباركة نافعة، اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه، وله مصنّفات مفيدة، ومؤلّفات عديدة))

❖ وفاته

توفي- رحمه الله- ليلة الاثنين رابع شهر رمضان بأرض الخميرية ببستان كان استأجره وصلّي عليه من الغد، ودفن بالباب الصغير جوار قبر الشيخ الفقيه أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشّيرازي ثم المقدسي الدمشقي المتوفى في ذي الحجّة سنة ست وثمانين وأربعمائة.

قال ابن ناصر الدّين : ((ولقد حدّثني من حفر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدّين ابن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام، قال : فقال لي: احفر لي هاهنا لحدا، وأشار إلى البقعة التي دفن فيها، قال: فحفرت له، فلما فرغ نزل في القبر واضطجع فيه فأعجبه، وقال: هذا جيد، ثم خرج.قال: فو الله ما شعرت بعد أيام إلّا وقد أتي به ميتا محمولا في نعشه فوضعته في ذلك اللّحد))[١٢]

(١٢) شذرات الذهب (٨\٥٧٨-٥٨٠) ، ت : محمود الأرناؤوط ، ط : دار ابن كثير –دمشق ، الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب (١\٣٠٧) ، تأليف الشيخ الفاضل علي الشبل



فصل (١٣)
في حسن الخلق (١٤)

❖ فضله :

جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنَ الْخُلُقِ أَكْمَلَ خِصَالِ الْإِيمَانِ، كَمَا خَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ(١٥) وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(١٦)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» وَخَرَّجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ(١٧)، وَزَادَ فِيهِ: «إِنَّ الْمَرْءَ لَيَكُونُ مُؤْمِنًا وَإِنَّ فِي خُلُقِهِ شَيْئًا فَيَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِهِ». وَخَرَّجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: «قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ؟ قَالَ: " الْخُلُقُ الْحَسَنُ» . وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ

---

(١٣) جامع العلوم والحكم (١\٤٥٥-٤٥٨)

(١٤) قال ابن حبان –رحمه الله - : ((الواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق وترك سوء الخلق لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها وأنشدني البغدادي :

خالق الناس بخلق حسن ... لا تكن كلبا على الناس يهر

والقهم منك ببشر ثم صن ... عنهم عرضك عَن كل قذر ...)) [روضة العقلاء ص٦٤ ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت]

(١٥) برقم (٧٤٠٢) ، ولم يخرجه أبو داود ، قال الإمام الألباني : حسن صحيح، الصحيحة (٢٨٤)

(١٦) ((الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ، اليَمَانِيُّ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ الأَثْبَاتِ.اخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ عَلَى أَقْوَالٍ جَمَّةٍ، أَرْجَحُهَا: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ))[سير أعلام النبلاء (٢\٥٧٨)].

(١٧) في "تعظيم قدر الصلاة"برقم (٤٥٤) .





صَاحِبَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ يَبْلُغُ بِخُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ لِئَلَّا يَشْتَغِلَ الْمُرِيدُ لِلتَّقْوَى عَنْ حُسْنِ الْخُلُقِ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَيَظُنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُهُ عَنْ فَضْلِهِمَا، فَخَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ[١٨] وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ[١٩] رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ الصَّائِمِ وَالْقَائِمِ» . وَأَخْبَرَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مَجْلِسًا، فَخَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»[٢٠] .

وَخَرَّجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي " صَحِيحِهِ "[٢١] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا» وَقَدْ سَبَقَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» .

---

(١٨) المسند (٢٥٥٣٧) ، سنن أبي داود (٤٧٩٨) ، قال الإمام الألباني : ((صحيح، المشكاة (٥٠٨٢)))

(١٩) ((بِنْتُ الإِمَامِ الصِّدِّيْقِ الأَكْبَرِ، خَلِيْفَةِ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ بنِ عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ القُرَشِيَّةُ، التَّيْمِيَّةُ، المَكِّيَّةُ، النَّبَوِيَّةُ، أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ، زَوجَةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَفْقَهُ نِسَاءِ الأُمَّةِ عَلَى الإِطْلاَقِ))[سير أعلام النبلاء (٢\١٣٥)]

(٢٠) المسند (٢٧٤٩٦)، وأبو داود (٤٧٩٩) ، سنن الترمذي (٢٠٠٣) ، قال الإمام الألباني : ((صحيح، "الصحيحة " (٨٧٦) ، "الإرواء" (٩٤١)))

(٢١) برقم (٤٨٥) ، قال الإمام الألباني : حسن صحيح ،"الصحيحة" (٧٩١).



وَخَرَّجَ أَبُو دَاوُدَ (٢٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ»، وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ بِمَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه.

❖ تفسير السلف(٢٣) لحسن الخلق:

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ تَفْسِيرُ حُسْنِ الْخُلُقِ:

فَعَنِ الْحَسَنِ رحمه الله (٢٤) قَالَ: ((حُسْنُ الْخُلُقِ: الْكَرَمُ وَالْبِذْلَةُ وَالِاحْتِمَالُ)).

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ رحمه الله(٢٥) قَالَ: ((حُسْنُ الْخُلُقِ: الْبِذْلَةُ وَالْعَطِيَّةُ وَالْبِشْرُ الْحَسَنُ))، وَكَانَ الشَّعْبِيُّ كَذَلِكَ.

وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ رحمه الله(٢٦) قَالَ:((هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى)).

---

(٢٢)برقم (٤٨٠٠)، قال الإمام الألباني: حسن، "الصحيحة" (٢٧٣)

(٢٣) يحدد ابن رجب رحمه الله السلف المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد وأقرانه فيقول: ((وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدي بهم إلى زمن الشافعي "ت ٢٠٤ ه"، وأحمد "ت ٢٤١"، وإسحاق "ت ٢٣٨ ه" وأبي عبيد "ت ٢٢٤ ه"، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة)) [فضل علم السلف على علم الخلف، "بتحقيق يحي مختار غزاوي"، ص ٦٠].

(٢٤) ((هُوَ: الحَسَنُ بنُ أَبِي الحَسَنِ يَسَارٍ، أَبُو سَعِيْدٍ، مَوْلَى زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ.عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشْبَهَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْهُ)) [سير أعلام النبلاء (٤\٥٦٤)]

(٢٥) ((عَامِرُ بنُ شَرَاحِيْلَ بن عَبْدِ بنِ ذِي كِبَارٍ، وَذُوْ كِبَارٍ: قَيْلٌ مِنْ أَقْيَالِ اليَمَنِ، الإِمَامُ، عَلاَّمَةُ العَصْرِ، أَبُو عَمْرٍو الهَمْدَانِيُّ، ثُمَّ الشَّعْبِيُّ)) [سير أعلام النبلاء (٤\٢٩٤-٢٩٥)]

(٢٦) ((الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، عَالِمُ زَمَانِهِ، وَأَمِيْرُ الأَتْقِيَاءِ فِي وَقْتِهِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَنْظَلِيُّ مَوْلاَهُم، التُّرْكِيُّ، ثُمَّ المَرْوَزِيُّ، الحَافِظُ، الغَازِي، أَحَدُ الأَعْلاَمِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ خُوَارِزْمِيَّةٌ.مَوْلِدُهُ: فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمائَةٍ)).[سير أعلام النبلاء (٨\٣٧٨-٣٧٩)]



وَسُئِلَ سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ رحمه الله(٢٧) عَنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، فَأَنْشَدَ:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ... لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله(٢٨): ((حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَغْضَبَ وَلَا تَحْتَدَّ، وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ)).

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ رحمه الله(٢٩): ((هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَأَنْ لَا تَغْضَبَ))، وَنَحْوَ ذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ(٣٠).

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: ((حُسْنُ الْخُلُقِ كَظْمُ الْغَيْظِ لِلَّهِ، وَإِظْهَارُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ إِلَّا لِلْمُبْتَدِعِ وَالْفَاجِرِ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِّينَ إِلَّا تَأْدِيبًا وَإِقَامَةُ الْحَدِّ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أَوْمُعَاهَدٍ إِلَّا تَغْيِيرَ مُنْكَرٍ

---

(٢٧) ((الإِمَامُ، الثِّقَةُ، القُدْوَةُ، أَبُو سَعِيدٍ الخُزَاعِيُّ مَوْلاَهُم، البَصْرِيُّ. قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: ثِقَةٌ، صَاحِبُ سُنَّةٍ))[سير أعلام النبلاء (٧\٤٢٨)].

(٢٨) ((هُوَ: الإِمَامُ حَقّاً، وَشَيْخُ الإِسْلاَمِ صِدْقاً، أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلِ بنِ هِلاَلِ بنِ أَسَدِ بنِ إِدْرِيْسَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَيَّانَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَنَسِ بنِ عَوْفِ بنِ قَاسِطِ بنِ مَازِنِ بنِ شَيْبَانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ وَائِلِ الذُّهْلِيُّ، الشَّيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ))[سير أعلام النبلاء (١١\١٧٧-١٧٨)].

(٢٩) ((هُوَ: الإِمَامُ الكَبِيْرُ، شَيْخُ المَشْرِقِ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ، أَبُو يَعْقُوْبَ. إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ مَخْلَدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ))[سير أعلام النبلاء (١١\٣٥٨)].

(٣٠) محمد بن نصر المروزي هو : ((الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ.مَوْلِدُهُ: بِبَغْدَادَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمائَتَيْنِ، وَمَنْشَؤُهُ بِنَيْسَابُوْرَ، وَمَسْكَنُهُ سَمَرْقَنْدُ.كَانَ أَبُوْهُ مَرْوَزِيّاً، وَلَمْ يُرْفَعْ لَنَا فِي نَسَبِهِ.ذَكَرَهُ الحَاكِمُ، فَقَالَ: إِمَامُ عَصْرِهِ بِلاَ مُدَافَعَةٍ فِي الحَدِيْثِ))[سير أعلام النبلاء (١٤\٣٣)].



وَأَخْذًا بِمَظْلَمَةٍ لِمَظْلُومٍ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ)). وَفِي " مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ "[٣١] مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ»[٣٢].

(٣١) برقم (١٥٦١٨) ، قال الإمام الألباني : ضعيف ، "الضعيفة"(٢٦٠٤)

(٣٢) فوائد حسن الخلق (راجع نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم) :

(١) حسن الخلق من أفضل ما يقرّب العبد إلى الله تعالى.

(٢) إذا أحسن العبد خلقه مع النّاس أحبّه الله والنّاس.

(٣) حسن الخلق يألف النّاس ويألفه النّاس.

(٤) لا يكرّم العبد نفسه بمثل حسن الخلق ولا يهينها بمثل سوئه.

(٥) حسن الخلق سبب في رفع الدّرجات وعلوّ الهمم.

(٦) حسن الخلق سبب في حبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والقرب منه يوم القيامة.

(٧) حسن الخلق يدلّ على سماحة النّفس وكرم الطّبع.

(٨) حسن الخلق يحوّل العدوّ إلى الصّديق.

(٩) حسن الخلق سبب لعفو الله وجالب لغفرانه.

(١٠) يمحو الله بحسن الخلق السّيئات.

(١١) يدرك المرء بحسن خلقه درجة الصّائم القائم.

(١٢) حسن الخلق من أكثر ما يدخل النّاس الجنّة.

(١٣) حسن الخلق يجعل صاحبه ممّن ثقلت موازينه يوم القيامة.

(١٤) حسن الخلق يحرّم جسد صاحبه على النّار .

(١٥) حسن الخلق يصلح ما بين الإنسان وبين النّاس .

(١٦) وبالخلق الحسن يكثر المصافون ويقلّ المعادون .

فصل (٣٣)
في بيان العلم النافع وضده (٣٤)

❖ أصول العلم النافع :

العلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد عَلَى تمييز

(٣٣) مجموع الرسائل (٣\٢٦-٣٢)

(٣٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وَأَمَّا الْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي تَحْصُلُ بِهِ النَّجَاةُ مِنْ النَّارِ وَيَسْعَدُ بِهِ الْعِبَادُ فَلَا يَحْصُلُ إلَّا بِاتِّبَاعِ الْكُتُبِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ قَالَ تَعَالَى: ((فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى،قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى، وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ))[طه : ١٢٣-١٢٦] إلَخْ وَقَالَ تَعَالَى: ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ))[الزخرف :٣٦] فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهُدَى وَالْإِيمَانَ يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ طَرِيقِ الْعِلْمِ مَعَ عَدَمِ الْعَمَلِ بِهِ أَوْ بِمُجَرَّدِ الْعَمَلِ وَالزُّهْدِ بِدُونِ الْعِلْمِ فَقَدْ ضَلَّ. وَأَضَلُّ مِنْهُمَا مَنْ سَلَكَ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ طَرِيقَ أَهْلِ الْفَلْسَفَةِ وَالْكَلَامِ بِدُونِ اعْتِبَارِ ذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا الْعَمَلِ بِمُوجِبِ الْعِلْمِ أَوْ سَلَكَ فِي الْعَمَلِ وَالزُّهْدِ طَرِيقَ أَهْلِ الْفَلْسَفَةِ وَالتَّصَوُّفِ بِدُونِ اعْتِبَارِ ذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا اعْتِبَارِ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ؛ فَأَعْرَضَ هَؤُلَاءِ عَنْ الْعِلْمِ وَالشَّرْعِ وَأَعْرَضَ أُولَئِكَ عَنْ الْعَمَلِ وَالشَّرْعِ فَضَلَّ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ وَتَبَايَنُوا تَبَايُنًا عَظِيمًا حَتَّى أَشْبَهَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ وَأَشْبَهَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى الضَّالِّينَ؛ بَلْ صَارَ مِنْهُمَا مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَالْقَرَامِطَةِ والاتحادية وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ الْفَلَاسِفَةِ)) [مجموع الفتاوى (١٣\٢٤٧-٢٤٨)]





صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد عَلَى الوقوف عَلَى معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل.

❖ وسائل ضبطه :

ومن وقف عَلَى هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه، أعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه وألهمه، وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله، كما قال عز وجل : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))[فاطر: ٢٨].

❖ من أقوال السلف فيه :

قال ابن مسعود رضي الله عنه (٣٥) وغيره: ((كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً)) (٣٦).

وقال بعض السَّلف: ((ليس العِلْم بكثرة الرواية ولكن العِلْم الخشية)).

وقال بعضهم: ((من خشي الله فهو عالم ومن عصاه فهو جاهل. وكلامهم في هذا المعنى كثير جدًّا)).

(٣٥) ((هو عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْدِ بنِ غَافِلِ بنِ حَبِيْبٍ الهُذَلِيُّ .الإِمَامُ الحَبْرُ، فَقِيْهُ الأُمَّةِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الهُذَلِيُّ، المَكِّيُّ، المُهَاجِرِيُّ، البَدْرِيُّ، حَلِيْفُ بَنِي زُهْرَةَ.كَانَ مِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ، وَمِنَ النُّجَبَاءِ العَالِمِيْنَ، شَهِدَ بَدْراً، وَهَاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ، وَكَانَ يَوْمَ اليَرْمُوْكِ عَلَى النَّفْلِ، وَمَنَاقِبُهُ غَزِيْرَةٌ، رَوَى عِلْماً كَثِيْراً))[سير أعلام النبلاء (١|٤٦١)].

(٣٦) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (ص ١٥)، وأحمد في "الزهد" (ص ١٥٨)، والطبراني في "الكبير" (٩/ ٨٩٢٧).



❖ وسبب ذلك أن هذا العِلْم النافع يدل عَلَى أمرين:

أحدهما: عَلَى معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته، ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر عَلَى بلائه.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال[٣٧].

❖ ثمار العلم النافع :

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إِلَى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه؛ فإذا أثمر العِلْم لصاحبه هذا فهو علم نافع، فمتى كان العِلْم نافعًا ووقر في القلب لله، فقد خشع القلب وانكسر له وذل هيبة وإجلالا وخشية ومحبة وتعظيمًا ومتى خشع القلب لله وانكسر له وذل قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا، وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدُّنْيَا. وكل ما هو فإن لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة وإن كان كريمًا عَلَى الله كما قال ذلك ابن عمر وغيره من السلف وروي مرفوعًا.

(٣٧) ((فَأَعْرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – أَتْبَعُهُمْ لِطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَالِ السَّالِكِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ)) [شرح الطحاوية ص١٨ ت : شاكر ، ط : الأوقاف السعودية]



وأوجب ذلك أن تكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة، فإن سأله أعطاه، وإن دعاه أجابه، كما قال في الحديث الإلهي[٣٨]: ((وَلاَ يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ -إلى قوله- فلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))[٣٩] وفي رواية[٤٠]: ((وَلَئِنْ دَعَانِي لِأُجِيبَنَّهُ)).

وفي وصيته – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس رضي الله عنهما[٤١]: ((احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، وتَعَرَّفْ إِلَى اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ))،[٤٢] فالشأن في أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريبًا منه يستأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته، ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلانيته، كما قيل لوهيب بن الورد: أيجد حلاوة الطاعة من عصى؟ قال: ((لا، ولا من هم)).

---

(٣٨) ويسمى بالحديث القدسي : نسبة إلى اسم من أسماء الله -تبارك وتعالى- (وهو: القدوس) .

(٣٩) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٤٠) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٦). وقال الهيثمي في "المجمع" (١٠/ ٢٦٩): ((رواه البزار وأحمد والطبراني في الأوسط وفيه عبد الواحد بن قيس وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورجال الطبراني في "الأوسط" رجال الصحيح غير شيخه هارون بن كامل)).

(٤١) ((هوعَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ البَحْرُ أَبُو العَبَّاسِ الهَاشِمِيُّ حَبْرُ الأُمَّةِ، وَفَقِيْهُ العَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيْرِ، أَبُو العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ، ابْنُ عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ شَيْبَةَ بنِ هَاشِمٍ، وَاسْمُهُ عَمْرُو بنُ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرٍ القُرَشِيُّ، الهَاشِمِيُّ، المَكِّيُّ، الأَمِيْرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -))[سير أعلام النبلاء (٣\٣٣١-٣٣٢)].

(٤٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧).





ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة؛ فإذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه، كما قالت شعوانة لفضيل: أما بينك وبين ربك ما إذا دعوته أجابك؟ فغشي عليه.

والعبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدُّنْيَا وفي البرزخ وفي الموقف؛ فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله، وهذا هو المشار إِلَيْهِ في وصية ابن عباس بقوله – صلى الله عليه وسلم - : ((تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ))

وقيل لمعروف: ما الَّذِي هيجك إِلَى الانقطاع؟ وذكره الموت والقبر والموقف والجنة والنار، فَقَالَ: ((إن ملكًا هذا بيده إذا كانت بينك وبينه معرفة كفاك هذا كله)).

فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه ودل عليه حتى عرف ربه ووحده وأنس به واستحيا من قربه وعبده كأنه يراه، ولهذا قالت طائفة من الصحابة: ((إن أول علم يرفع من الناس: الخشوع)).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاور تواقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع)).

وقال الحسن رحمه الله: ((العِلْم علمان، فعلم عَلَى اللسان فذاك حجة الله عَلَى ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العِلْم النافع)).

وكان السَّلف يَقُولُونَ: ((العُلَمَاء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمره، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله.

وأكملهم الأول، وهو الَّذِي يخشى الله ويعرف أحكامه، فالشأن كله في أن العبد يستدل بالعلم عَلَى ربه فيعرفه؛ فإذا عرفه ربه فقد وجده منه قريبًا، ومتى وجده منه قريبًا قربه إِلَيْهِ...





وكان الإمام أحمد –رحمه الله- يقول عن معروف[٤٣]: ((معه أصل العِلْم: خشية الله)).

فأصل العِلْم: العِلْم بالله الَّذِي يوجب خشيته، ومحبته والقرب منه والأُنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العِلْم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد.

فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علماً نافعًا، وحصل له العِلْم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع.

❖ العلم الضار :

ومن فاته هذا العِلْم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي صلّى الله عليه وسلم وصار علمه وبالا وحجة عليه، فلم ينتفع به؛ لأنّه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسه من الدُّنْيَا، بل ارداد عليها حرصًا ولها طلبًا، ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه، هذا إن كان علمه علماً يمكن الانتفاع به، وهو المتلقى عن الكتاب والسنة؛ فإن كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه، ولا يمكن الانتفاع به، بل ضره أكثر من نفعه.

(٤٣) ((مَعْرُوْفُ الكَرْخِيُّ أَبُو مَحْفُوْظٍ البَغْدَادِيُّ عَلَمُ الزُّهَّادِ، بَرَكَةُ العَصْرِ، أَبُو مَحْفُوْظٍ البَغْدَادِيُّ.وَاسْمُ أَبِيْهِ فَيْرُوْزُ))[سير أعلام النبلاء (٩/٣٣٩)].



❖ من علامات العلم الضار:

وعلامة هذا العِلْم الَّذِي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء، وطلب العلو والرفعة في الدُّنْيَا والمنافسة فيها، وطلب مباهاة العُلَمَاء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إِلَيْهِ، وقد ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلم: ((أن من طلب العِلْم لذلك فالنار النار)) (٤٤).

وربما ادعى بعض أصحاب هذه العلوم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم، وإحسان ظنهم بهم، وكثرة أتباعهم، والتعظم بذلك عَلَى الناس، وعلامة ذلك إظهار دعوى الولاية كما كان يدعيه أهل الكتاب، وكما ادعاه القرامطة والباطنية ونحوهم، وهذا بخلاف ما كان عليه السَّلف من احتقار نفوسهم وازدرائها باطنًا وظاهرًا.

وقال عمرو: ((من قال إنه عالم فهو جاهل، ومن قال أنَّه مؤمن فهو كافر، ومن قال هو في الجنة فهو في النار)).

❖ ومن علامته البينة :

عدم قبول الحق والانقياد إِلَيْهِ والتكبر عَلَى من يقول الحق، خصوصًا إن كان دونهم في أعين الناس، والإصرار عَلَى الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم بإظهار الرجوع إِلَى الحق (٤٥).

---

(٤٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٧٧)، والحاكم (١/ ٨٦).

(٤٥) قال الإمام الألباني رحمه الله : ((والله المستعان على فساد أهل هذا الزمان، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فوالله الذي لا إله إلا هو لولا أن كثيرًا من الناس يغترون بكل ما يطبع وينشر من أي شخص كان -يحسبون السراب ماء، والعظم لحمًا، وإنما هو كما قيل قديمًا: عظم على وضم- لما سودت



وربما أظهروا بألسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها عَلَى رءوس الأشهاد؛ ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فَيُمدَحُون بذلك، وهو من دقائق أبواب الرياء، كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العُلَمَاء.

ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه مما ينافي الصدق والإخلاص؛ فإن الصادق يخاف النفاق عَلَى نفسه ويخشى عَلَى نفسه من سوء الخاتمة، فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستحسانه.

فلهذا كان من علامات أهل العِلْم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مقامًا، ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح، ولا يتكبرون على أحد.

= سطرًا واحدًا في الرد على هذا وأمثاله كذاك السقاف الآتي بيان بعض ويلاته، ونحوه من الأغرار الذين ليس لهم سابقة في هذا العلم وغيره، ولم يتأدبوا بقوله - صلى الله عليه وسلم -: "ليس منا.. من لم يعرف لعالمنا حقه"، ولا هم يقبلون نصيحة العلماء، قال العلامة الشاطبي رحمه الله في كتابه "الاعتصام" -وهو في صدد بيان علامات أهل الأهواء والبدع (٣/٩٩) -:

"والعالم (تأملوا لم يقل: طالب العلم!) إذا لم يشهد له العلماء فهو في الحكم باق على الأصل من عدم العلم حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى، إذ كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيره، ولم يفعل، وكان من حقه أن لا يقدم إلا أن يقدمه غيره، ولم يفعل".

هذه نصيحة الإمام الشاطبي إلى (العالم) الذي بإمكانه أن يتقدم إلى الناس بشيء من العلم، ينصحه بأن لا يتقدم حتى يشهد له العلماء خشية أن يكون من أهل الأهواء، فماذا كان ينصح يا ترى لو رأى بعض هؤلاء المتعلقين بهذا العلم في زمننا هذا؟! لا شك أنه كان يقول له: "ليس هذا عشك فادرجي"، فهل من معتبر؟! وإني والله لأخشى على هذا البعض أن يشملهم قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((يُنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويُخلف لها هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء)) .والله المستعان)) [السلسلة الصحيحة (١|٧١٣) ط : مكتبة المعارف].



قال الحسن: ((إِنَّمَا الفقيه الزاهد في الدُّنْيَا الراغب في الآخرة، البصير بدينه المواظب على عبادة ربه)). وفي رواية عنه قال: ((الَّذِي لا يحسد من فوقه، ولا يسخر ممن دونه، ولا يأخذ عَلَى علم علمه الله أجرًا)). وهذا الكلام الأخير قد رُوي معناه عن ابن عمر رضي الله عنهما [٤٦] من قوله.

وأهل العِلْم النافع كلما ازدادوا من هذا العِلْم ازدادوا لله تواضعًا وخشية وانكسارًا وذلا.

قال بعض السَّلف: ((ينبغي للعالم أن يضع التراب عَلَى رأسه تواضعًا لربه.فإنَّه كلما ازداد علماً بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكسارًا)).

❖ صاحب العلم النافع والرياء :

ومن علامات العِلْم النافع: أنَّه يدل صاحبه عَلَى الهرب من الدُّنْيَا، وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح، فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العِلْم النافع فإن وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته، بحيث أنَّه يخشى أن يكون مكرًا واستدراجًا، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك عَلَى نفسه عند اشتهار اسمه ويُعْدِ صيته.

(٤٦) أخرجه الدارمي (١/ ٨٨).



❖ صاحب العلم النافع والتجرد للحق :

ومن علامات العِلْم النافع: أن صاحبه لا يدعي العِلْم ولا يفخر به عَلَى أحد، ولا ينسب غيره إِلَى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها؛ فإنَّه يتكلم فيه غضبًا لله لا غضبًا لنفسه ولا قصدًا لرفعتها عَلَى أحد.

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه عَلَى الناس، وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إِلَى الجهل، وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأردئها، وربما نسب من كان قبله من العُلَمَاء إِلَى الجهل والغفلة والسهو، فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها، وإحسان ظنه بها وإساءة ظنه بمن سلف.

وأهل العِلْم النافع عَلَى ضد هذا. يسيئون الظن بأنفسهم، ويحسنون الظن بمن سلف من العُلَمَاء، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها.

وما أحسن قول أبي حنيفة (٤٧) رحمه الله وقد سئل عن علقمة والأسود: أيهما أفضل؟ فَقَالَ: ((والله ما نحن بأهل أن نذكرهم، فكيف نفضل بينهم؟!)).

وكان ابن المبارك رحمه الله إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

---

(٤٧) ((الإِمَامُ، فَقِيْهُ المِلَّةِ، عَالِمُ العِرَاقِ، أَبُو حَنِيْفَةَ النُّعْمَانُ بنُ ثَابِتِ بنِ زُوْطَى التَّيْمِيُّ، الكُوْفِيُّ، مَوْلَى بَنِي تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ))[سير أعلام النبلاء (٦/٣٩٠) ، وراجع "نشر الصحيفة" لعلامة اليمن مقبل الوادعي رحمه الله].



ومن علمه غير نافع إذا رأى لنفسه فضلا عَلَى من تقدمه في المقال وتشقق الكلام، ظن لنفسه عليهم فضلا في العِلْم أو الدرجة عند الله لفضل خص به عمن سبق فاحتقر من تقدمه، وأزرى عليه بقلة العِلْم، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام من سلف إِنَّمَا كان ورعًا وخشية لله، ولو أراد الكلام وإطالته لما عجز عن ذلك، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لقوم سمعهم يتمارون في الدين: ((أما علمتم أن لله عبادًا أسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم، وإنهم لهم العُلَمَاء والفصحاء والطلقاء والنبلاء، العُلَمَاء بأيام الله غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك يسارعون إِلَى الله بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم من المفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء ومع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأبرار برآء، إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ولا يدلون عليه بالأعمال، هم حيث ما لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون)). خرجه أبو نعيم [٤٨] وغيره [٤٩].

(٤٨) في الحلية (١/ ٣٢٥).

(٤٩) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٩٥)، وأحمد في الزهد ص ٤٣، والآجري في الشريعة ص ٥٩، ٦٠.



ذكر الآداب[٥٠]

١- العلم أفضل العبادات[٥١] :

❖ فضل العلم :

قال الله تعالى: ((هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) [الزمر: ٩] ، وقال: ((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)) [المجادلة: ١١] يعني: على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم، كذا قال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من السلف. وخرج الترمذي[٥٢] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: أَنَّهُ ذُكِرَ لَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ))
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥٣] :((وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ))[٥٤]

---

(٥٠) وهي منوعة : من أدب الطالب في نفسه ، ومع شيخه ، ومع أقرانه ، ومع عموم الناس ، والغالب عليها : تربية النفس وتهذيبها من درن الشبهات والشهوات ، والله الموفق .

(٥١) قال الماوردي(ت : ٤٥٠هـ) رحمه الله : ((اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا رَغَّبَ فِيهِ الرَّاغِبُ، وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَ وَجَدَّ فِيهِ الطَّالِبُ، وَأَنْفَعُ مَا كَسَبَهُ وَاقْتَنَاهُ الْكَاسِبُ؛ لِأَنَّ شَرَفَهُ يُثْمِرُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَفَضْلَهُ يُنْمِي عَلَى طَالِبِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) [الزمر: ٩] فَمَنَعَ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ لِمَا قَدْ خُصَّ بِهِ الْعَالِمُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ.وَقَالَ تَعَالَى: ((وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)) [العنكبوت: ٤٣] فَنَفَى أَنْ يَكُونَ غَيْرُ الْعَالِمِ يَعْقِلُ عَنْهُ أَمْرًا، أَوْ يَفْهَمُ مِنْهُ زَجْرًا))[أدب الدين والدنيا (ص٣٦) ط : دار مكتبة الحياة].

(٥٢) برقم (٢٧٨٥) ، وصححه الإمام الألباني ، المشكاة (٢١٣ / التحقيق الثاني) ، التعليق الرغيب (١ / ٦٠)

(٥٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٢٣)





وصح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه[٥٥] أنّه قال: ((لَمَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَوْثَقُ فِي نَفْسِي مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ)) [٥٦].

وعن الحسن رحمه الله قال: ((لأَنّ أَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ العِلْمِ فَأُعَلِّمُهُ مُسْلِمًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا أَجْعَلُهَا فِي سَبِيلِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-)) [٥٧].

وعنه رحمه الله قال: ((إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُصِيبُ البَابَ مِنَ العِلْمِ فَيَعْمَلُ بِهِ فَيَكُونُ خَيرًا لَهُ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَوْ كَانَتْ لَهُ فَيَجْعَلُهَا فِي الآخِرَةِ)).

وعنه رحمه الله قال: ((مِدَادُ العُلَمَاءِ ودَمُ الشُّهَدَاءِ مَجْرَى وَاحِدٍ)).

---

(٥٤) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله معلقاً على هذا الحديث : ((وفي هذا المثل تشبيه للعالم بالقمر ليلة البدر، وهو نهاية كماله، وتمام نوره، وتشبيه للعابد بالكواكب، وأن بين العالم والعابد من التفاوت في الفضل ما بين القمر ليلة البدر والكواكب، والسر في ذلك -والله أعلم- أن الكوكب ضوءه لا يعدو نفسه، وأما القمر ليلة البدر فإن نوره يشرق على أهل الأرض جميعًا، فيعمهم نوره فيستضيئون بنوره، ويهتدون به في مسيرهم. وإنما قال: "على سائر الكواكب" ولم يقل: على سائر النجوم؛ لأنّ الكواكب هي التي لا تسير ولا يهتدى بها، فهي بمنزلة العابد الذي نفعه مقصور على نفسه، وأما النجوم فهي التي يهتدى بها كما قال تعالى: ((وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)) [النحل: ١٦] وقال: ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)) [الأنعام: ٩٧] فكذلك مَثَّلَ العلماء من أمته بالنجوم في الحديث الذي سبق ذكره))[مجموع الرسائل (١|٣٢-٣٣)]

(٥٥) ((أَبُو مُوْسَى الأَشْعَرِيُّ عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسِ بْنِ سُلَيْمِ بنِ حَضَّارِ بنِ حَرْبٍ. الإِمَامُ الكَبِيْرُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبُو مُوْسَى الأَشْعَرِيُّ، التَّمِيْمِيُّ، الفَقِيْهُ، المُقْرِئُ))[سير أعلام النبلاء (٢|٣٨٠-٣٨١)].


(٥٦) أورده الذهبي في "السير" (١/ ٤٩٣).

(٥٧) أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٥٣).



وقال الزهري رحمه الله(٥٨) : ((تعلم سنة أفضل من عِبَادَةِ مَائَتَي سَنَة)).

وقال سفيان الثوري وأبو حنيفة رحمهما الله: ((لَيسَ بَعدَ الفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ)).

وقال الثوري رحمه الله(٥٩) : ((لاَ نعلَمُ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ وَالحَدِيثِ لِمَنْ حَسُنَتْ فِيهِ نيَّتُهُ. قِيلَ لَهُ: وأَيُّ شَيءٍ النِّيَّةُ فِيهِ؟ قَالَ: يُرِيدُ اللهَ والدَّارَ الآخِرَةَ)).

وقال الشافعي(٦٠) رحمه الله : ((طَلَبُ العِلْمْ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةٍ نَافِلَةٍ)).

ورأى مالك(٦١) رحمه الله بعض أصحابه يكتب العِلم ثم تركه وقام يصلي، فَقَالَ: ((عَجَبًا لَكَ! مَا الَّذِي قُمْتَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلَ مِنَ الَّذِي تَرَكْتَهُ)).

---

(٥٨) ((مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بنِ شِهَابٍ ، الإِمَامُ، العَلَمُ، حَافِظُ زَمَانِه، أَبُو بَكْرٍ القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ، المَدَنِيُّ، نَزِيلُ الشَّامِ))[سير أعلام النبلاء (٥\٣٢٦)].

(٥٩) ((سُفْيَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيُّ ، هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، إِمَامُ الحُفَّاظِ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ فِي زَمَانِهِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الثَّوْرِيُّ، الكُوْفِيُّ، المُجْتَهِدُ، مُصَنِّفُ كِتَابِ (الجَامِعِ) .
وُلِدَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِيْنَ اتِّفَاقاً، وَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حَدَثٌ بِاعتنَاءِ وَالِدِه المُحَدِّثِ الصَّادِقِ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيِّ، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّعْبِيِّ، وَخَيْثَمَةَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ ثِقَاتِ الكُوْفِيِّيْنَ، وَعِدَادُهُ فِي صِغَارِ التَّابِعِيْنَ)) [سير أعلام النبلاء (٧\٢٢٩-٢٣٠)].

(٦٠) ((هو مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعٍ ، الإِمَامُ، عَالِمُ العَصْرِ، نَاصِرُ الحَدِيْثِ، فَقِيْهُ المِلَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ، ثُمَّ المُطَّلِبِيُّ، الشَّافِعِيُّ، المَكِّيُّ، الغَزِّيُّ المَوْلِدِ، نَسِيْبُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَابْنُ عَمِّهِ، فَالمُطَّلِبُ هُوَ أَخُو هَاشِمٍ وَالِدِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.اتَّفَقَ مَوْلِدُ الإِمَامِ بِغَزَّةَ، وَمَاتَ أَبُوْهُ إِدْرِيْسُ شَابّاً، فَنَشَأَ مُحَمَّدٌ يَتِيْماً فِي حَجْرِ أُمِّهِ، فَخَافَتْ عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، فَتَحَوَّلَتْ بِهِ إِلَى مَحْتِدِهِ وَهُوَ ابْنُ عَامَيْنِ، فَنَشَأَ بِمَكَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّمْيِ، حَتَّى فَاقَ فِيْهِ الأَقْرَانَ، وَصَارَ يُصِيْبُ مِنْ عَشْرَةِ أَسْهُمٍ تِسْعَةً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى العَرَبِيَّةِ وَالشَّرْعِ، فَبَرَعَ فِي ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ.ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الفِقْهُ، فَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ))[سير أعلام النبلاء (١٠\٥-٦)].



وسئل الإمام أحمد: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيكَ، أَن أُصَلِّي بِاللَّيلِ تَطَوُّعًا، أَو أَجْلِسَ أَنسَخُ العِلْمَ؟ قال رحمه الله : ((إِذَا كنتَ تَنسَخُ مَا تعلمَ أَمرَ دِينِكَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ)).

وقال أحمد أيضاً: ((العِلْمُ لاَ يَعْدِلُهُ شَيءٌ)).

وقال المعافى بن عمران(٦٢) رحمه الله : ((كِتَابَةَ حديثٍ واحِدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ لَيلَةٍ)).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعد أن أورد هذه الآيات والأحاديث و الآثار : ((ومما يدل على تفضيل العِلْم على جميع النوافل أن العِلْم يجمع جميع فضائل الأعمال المتفرقة.فإن العِلْم أفضل أنواع الذكر، كما سبق تقريره، وهو أيضاً أفضل أنواع الجهاد))(٦٣).

---

(٦١) ((هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، حُجَّةُ الأُمَّةِ، إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ))[سير أعلام النبلاء (٨\٤٨)]

(٦٢) ((المُعَافَى بنُ عِمْرَانَ بنِ نُفَيْلِ بنِ جَابِرِ بنِ جَبَلَةَ الأَزْدِيُّ : الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، يَاقُوتَةُ العُلَمَاءِ، أَبُو مَسْعُوْدٍ الأَزْدِيُّ، المَوْصِلِيُّ، الحَافِظُ)).

(٦٣) مجموع الرسائل (١\٣٧)



٢- الإخلاص[٦٤] :

❖ تعريفه :

قال الحافظ : ((وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى اسْتِحْضَارِ مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ وَقُرْبِهِ مِنْهُ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ هَذَا فِي عَمَلِهِ وَعَمِلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ، لِأَنَّ اسْتِحْضَارَهُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ الِالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ بِالْعَمَلِ))[٦٥].

❖ ضرر الرياء على طالب العلم[٦٦] :

قال الحافظ : ((فإنَّ العلمَ والعملَ والزهدَ إنَّما يُطلبُ بها ما عند الله من الدرجات العُلَى والنعيمِ المقيمِ ويطلب بها ما عند الله والقربِ منهُ والزُّلفى لَديهِ قال الثوريُّ رحمه الله : ((إنَّما فُضلَ العلمُ؛ لأنَّهُ يُتقى به الله، وإلَّا كانَ كسائرِ الأشياءِ)).

(٦٤) قال الشوكاني رحمه الله تعالى : ((فَأول مَا على طَالب الْعلم أَن يحسن النِّيَّة وَيصْلح طويته وَيتَصَوَّر أَن هَذَا الْعَمَل الَّذِي قصد لَهُ وَالْأَمر الَّذِي أَرَادَهُ هُوَ الشَّرِيعَة الَّتِي شرعها الله سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ وَبعث بهَا رسله وَأنزل بهَا كتبه ويجرد نَفسه عَن أَن يشوب ذَلِك بمقصد من مَقَاصِد الدُّنْيَا أَو يخلطه بِمَا يكدره من الإرادات الَّتِي لَيست مِنْهُ كمن يُرِيد بِهِ الظفر بِشَيْء من المَال أَو يصل بِهِ إِلَى نوع من الشّرف أَو الْبلُوغ إِلَى رئاسة من رئاسات الدُّنْيَا أَو جاه يحصله بِهِ)) [أدب الطلب ومنتهى الأدب ص١٣]

(٦٥) مجموع رسائل ابن رجب (٣|٣٣١)

(٦٦) مجموع رسائل (١|٧٨-٨٠)





فإِذَا طلبَ بشيء من هذا عَرضَ الدُّنْيَا الفاني فهو -أيضًا- نوعانِ:

أحدهما: أن يطلبَ به المالَ، فهذا من نوعِ الحرصِ عَلَى المالِ وطلبهِ بالأَسبابِ المحرَّمةِ.

وفي هذا الحديث عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٦٧] يعني: رِيحَها....وسببُ هذا -والله أعلمُ- أَنَّ في الدُّنْيَا جنةً مُعجَّلةً، وهي معرفةُ الله ومحبتُهُ، والأُنسُ به والشَّوقُ إِلَى لقائِهِ، وخشيتُهُ وطاعتُهُ، والعلمُ النافعُ يدلُّ عَلَى ذلك، فمن دلَّهُ علمهُ عَلَى دخول هذه الجنةِ المُعجَّلةِ في الدُّنْيَا دَخَلَ الجنةَ في الآخرةِ، ومن لم يشُم رائحتَها لم يشُم رائحةَ الجنةِ في الآخرةِ.

ولهذا كان أشد الناس عذابًا في الآخرة عالمٌ لم ينفعهُ اللَّه بعلمهِ، وهو أشدُّ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ، حيثُ كان معهُ آلةٌ يتوصَّلُ بها إِلَى أعلى الدَّرجاتِ وأَرفعِ المقاماتِ، فلم يستعملها إلا في التوصُّلِ إِلَى أَخَسِّ الأمورِ وأدناهَا وأحقرِهَا، فهو كمن كان معهُ جواهرُ نفيسةٌ لها قيمةٌ، فباعَها ببعرٍ أو شيءٍ مستقذرٍ لا يُنتفَعُ بهِ، بل حالُ من يطلبُ الدُّنْيَا بعلمهِ، أقبح وأقبحُ وكذلك من يطلبُها بإظهارِ الزهدِ فيها، فإِنَّ ذلكَ خداعٌ قبيحٌ جدًّا.

(٦٧) رواه أحمد وغيره، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في اقتضاء العلم(١٠٢)





وكان أبو سليمان الدَّارانيُّ رحمه الله [٦٨] يعيبُ عَلَى من لبس عباءةً، وفي قلبهِ شهوةٌ من شهواتِ الدُّنْيَا تساوي أكثر من قيمةِ العَباءة.

يشيرُ إِلَى أنَ إظهارَ الزهدِ في الدُّنْيَا باللباس الدني إِنَّمَا يصلحُ لمن فرغَ قلبهُ من التَّعلُّقِ بها، بحيثُ لا يتعلقُ قلبُهُ بها بأكثرَ من قيمةِ ما لبسهُ في الظاهرِ، حتى يستوي ظاهرُهُ وباطنُهُ في الفراغ من الدُّنْيَا....

النوع الثاني: مَن يطلبُ بالعمل والعلم والزهد الرياسة عَلَى الخلقِ والتعاظُمَ عليهم، وأن ينقادَ الخلقُ ويخضعونَ لهُ ويصرفُونَ وُجوهَهُم إليهِ، وأن يُظهرَ للناسِ زيادةَ علمهِ عَلَى العُلماءِ ليَعلوَ بهِ عليهِم ونحو ذلك.

فهذا موعدُهُ النارُ؛ لأنَّ قَصْدَ التَّكبرِ عَلَى الخلقِ مُحَرَّمٌ في نفسهِ، فَإِذَا استعملَ فيهِ آلة الآخرةِ كان أقبحَ وأَفحشَ من أن يستعملَ فيهِ آلاتِ الدُّنْيَا من المالِ والسلطانِ.

وفي " السنن " عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ النَاسِ إِلَيهِ أَدْخَلَهُ الله النَّارَ)) [٦٩]...))

---

(٦٨) ((الإِمَامُ، الكَبِيْرُ، زَاهِدُ العَصْرِ، أَبُو سُلَيْمَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَحْمَدَ))[سير أعلام النبلاء (١٠\١٨٢)].

(٦٩) حسن رواه الترمذي وغيره ، المشكاة (٢٢٣ - ٢٢٥) ، التعليق الرغيب (١ / ٦٨)



❖ ثناء الناس على طالب العلم (٧٠) :

قال الحافظ : ((فَأَمَّا إِذَا عَمِلَ الْعَمَلَ لِلَّهِ خَالِصًا، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى جَاءَ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه (٧١) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ «سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ (٧٢)، وَخَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٧٣)، وَعِنْدَهُ: «الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ فَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ» . وَبِهَذَا الْمَعْنَى فَسَّرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (٧٤) وَغَيْرُهُمْ.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ

---

(٧٠) جامع العلوم والحكم (١\٨٣-٨٤) ط: الرسالة /ت: الأرناؤوط ، و مجموع الرسائل (١\٩٣) ، مجموع الرسائل (١\٩٤-٩٤)

(٧١) ((أَبُو ذَرٍّ جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ الغِفَارِيُّ ، أَحَدُ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ، مِنْ نُجَبَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-))[سير أعلام النبلاء (٢\٤٦)].

(٧٢) برقم (٢٦٤٢)

(٧٣) برقم (٤٢٢٥) ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى

(٧٤) ((الإِمَامُ، العَلَمُ، المجتهدُ، عَالِمُ العَصْرِ، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَة، مِنْ أَهْلِ آمل طَبَرِسْتَان.مَوْلِدُه: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَطَلَبَ العِلْمَ بَعْد الأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّرحَال، وَلقِي نُبَلاَءَ الرِّجَال، وَكَانَ مِنْ أَفرَاد الدَّهْر عِلْماً، وَذكَاءً، وَكَثْرَةَ تَصَانِيْف.قلَّ أَنْ ترَى العُيُونُ مثلَه))[سير أعلام النبلاء (١٤\٢٦٧)].





الْعَمَلَ، فَيَسُرُّهُ، فَإِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ، أَعْجَبَهُ، فَقَالَ: لَهُ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ»(٧٥)

وكان يزيد العُقيليُّ يقول: ((من أرادَ بعلمه وجهَ الله تعالى أقبلَ اللهُ عليهِ بوَجهِهِ وأقبلَ بقلوبِ العبادِ عليه، ومن عملَ لغيرِ اللهِ صرفَ اللهُ وجهَهُ عنهُ وصرفَ قلوبَ العبادِ عنه)).

وقال محمدُ بنُ واسعٍ رحمه الله (٧٦):((إِذَا أقبلَ العبدُ بقلبهِ عَلَى اللهِ أقبلَ اللهُ عليهِ بقلوبِ المُؤمنينَ)).

كَتَبَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ رحمه الله (٧٧) إِلَى مَكحولٍ رحمه الله: ((أَمَّا بعدُ، فإنكَ أصبتَ بظاهرِ علمكَ عندَ الناسِ شَرفًا ومنزلةً، فاطلُبْ بباطنِ علمكَ عندَ اللهِ منزلةً وزُلْفَى، واعلمْ أنَّ إِحدَى المنزلَتينِ تمنعُ من الأُخْرى)).

ومعنى هَذا أَنَّ العلمَ الظاهرَ من تعلُّمِ الشّرَائعِ والأحكامِ، والفَتاوى والقَصصِ والوَعظِ ونحوِ ذلك مما يظهرُ للناسِ يَحصلُ بهِ لصاحبهِ عندَهُم منزلةٌ وشرفٌ، والعلمُ الباطنُ المودَعُ في القلوبِ من معرفةِ اللهِ وخشيتِهِ، ومحبتِهِ ومُراقبتِهِ، والأنسِ بهِ والشوقِ إِلَى لقائِهِ، والتوكلِ عليهِ والرّضى بقضائِهِ، والإعراضِ عن عَرَضِ الدُّنيَا الفاني، والإقبالِ عَلَى

(٧٥) ضعفه الإمام الألباني ، ضعيف سنن ابن ماجة برقم (٩٢٧)

(٧٦) ((مُحَمَّدُ بنُ وَاسِعِ بنِ جَابِرِ بنِ الأَخْنَسِ الأَزْدِيُّ ، الإِمَامُ، الرَّبَّانِيُّ، القُدْوَةُ، أَبُو بَكْرٍ.وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ الأَزْدِيُّ، البَصْرِيُّ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ))[سير أعلام النبلاء (٦\١١٩)].

(٧٧) ((وَهْبُ بنُ مُنَبِّهِ بنِ كَامِلِ بنِ سِيْجِ بنِ ذِي كِبَارٍ وَهُوَ الأُسْوَارُ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الأَخْبَارِيُّ، القَصَصِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الأَبْنَاوِيُّ، اليَمَانِيُّ، الذِّمَارِيُّ، الصَّنْعَانِيُّ))[سير أعلام النبلاء (٤\٥٤٤)].





جَوهرِ الآخرةِ الباقي، كلُّ هذا يوجبُ لصاحبهِ عندَ اللَّه منزلةً وزُلْفَى، وإحدَى المنزلتينِ تمنعُ من الأُخرى.

فمن وقفَ مع منزلتِهِ عندَ الخلْقِ، وانشغلَ بما حَصَلَ لهُ عندَهم بعلمِ الظاهرِ من شرفِ الدنيا، وكان همُّهُ حِفظَ هذهِ المنزلةِ عندَ الخلقِ وملازَمتَهَا وتربيتها والخوفَ من زَوَالِهَا كانَ ذلكَ حظَّهُ من اللَّه وانقطَعَ به عنهُ، فهو كما قالَ بعضُهم: ويلٌ لِمَن كانَ حَظُّهُ مِن اللَّه الدُّنْيَا.

وكان السَّرِيُّ السَّقَطيُّ رحمه الله [٧٨] يعجب مما يَرى من علمِ الجُنيدِ رحمه الله [٧٩] وحُسنِ خطابِهِ وسُرعةِ جَوابهِ فقالَ لَه يَومًا -وقَد سألَهُ عن مَسألةٍ فَأجابَ وأصابَ-: ((أَخشَى أن يكونَ حظَّكَ من الدُّنْيَا لسانك)). فكانَ الجُنيدُ لَا يزالُ يَبكِي من هذهِ الكلمةِ.

(٧٨) ((السَّرِيُّ بنُ المُغَلِّسِ السَّقَطِيُّ الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ.وُلِدَ: فِي حُدُوْدِ السِّتِّيْنَ وَمائَةٍ))[سير أعلام النبلاء (١٢\١٨٥)].

(٧٩) ((أَبُو القَاسِمِ الجُنَيْدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الجُنَيْدِ النَّهَاوَنْدِيُّ ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، القَوَارِيْرِيُّ، وَالِدُه الخَزَّازُ.هُوَ شَيْخُ الصُّوْفِيَّةِ.وُلِدَ: سَنَةَ نَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي ثَوْرٍ.وَأَتْقَنَ العِلْمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ، وَتَأَلَّهَ، وَتَعَبَّدَ، وَنَطَقَ بِالحِكْمَةِ، وَقَلَّ مَا رَوَى))[سير أعلام النبلاء (١٤\٦٦)].



❖ **استواء المدح والذم**[٨٠] :

ومَن اشتغلَ بتَربيةِ منزلتِهِ عندَ اللَّهِ بما ذكرنا من العلمِ الباطنِ وَصلَ إِلَى اللَّه، فاشتغلَ بهِ عما سواهُ، وكانَ لهُ في ذلكِ شُغُلٌ عن طلبِ المنزلةِ عندَ الخلقِ، ومع هذا، فإن اللهَ يُعطيهِ المنزلةَ في قُلوبِ الخلقِ والشَّرفِ عندَهم، وإن كان لا يريدُ ذلك ولا يَقفُ معهُ؛ بل يَهربُ منهُ أَشدَّ الهربِ ويفِرُّ أَشدَّ الفِرَارِ؛ خشيةَ أن يقطعَهُ الخلقُ عن الحقِّ جلَّ جَلالُهُ.

قال الله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا))[مريم: ٩٦] أي: في قلوبِ عِبادِهِ.

وفي حديث: ((إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى: يَا جِبْرِيلَ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)).

والحديثُ مَعروفٌ، وهُو مُخرّج في "الصحيح"[٨١].

وبكُلِّ حالٍ؛ فطلبُ شرف الآخرةِ يحصلُ معه شرف الدُّنْيَا، وإن يُردْهُ صاحبُهُ ولم يطلُبهُ، وطلبُ شرف الدُّنيا يمنع شَرفَ الآخرةِ ولا يجتمعُ معهُ، والسعيدُ من آثرَ الباقي عَلَى الفاني...

(٨٠) قال الإمام الذهبي –رحمه الله- :((عَلاَمَةُ المُخْلِصِ الَّذِي قَدْ يُحِبُّ شُهرَةً، وَلاَ يَشعُرُ بِهَا، أَنَّهُ إِذَا عُوتِبَ فِي ذَلِكَ، لاَ يَحرَدُ وَلاَ يُبرِّئُ نَفْسَه، بَلْ يَعترِفُ، وَيَقُوْلُ: رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهدَى إِلَيَّ عُيُوبِي، وَلاَ يَكُنْ مُعجَباً بِنَفْسِهِ؛ لاَ يَشعرُ بِعُيُوبِهَا، بَلْ لاَ يَشعرُ أَنَّهُ لاَ يَشعرُ، فَإِنَّ هَذَا دَاءٌ مُزْمِنٌ))[سير أعلام النبلاء (٧\٣٩٣)].

(٨١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩).



❖ تنبيه مهم(٨٢):

قال الحافظ : ((وها هنا نُكتةٌ دقيقة، وهي أن الإنسانَ قد يذُمُّ نفسهُ بين الناسِ يُريدُ بذلك أن يُرِي أنه مُتواضعٌ عندَ نفسهِ، فيرتفعُ بذلكَ عندَهُم ويمدحُونَهُ بهِ، وهذا من دَقائقِ أبوابِ الرِّياءِ وقد نَبَّه عليهِ السلفُ الصالحُ.

قال مُطرِّفُ بنُ عبدِ الله بن الشِّخِّير رحمه الله (٨٣): ((كَفى بالنفس إطراءً أن تذُمَّهَا عَلَى المَلأ، كأنك تُريدُ بذمِّها زينتَهَا، وذلك عند الله سَفَهٌ)).))

❖ أقسام العمل لغير الله :

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَمَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَقْسَامٌ: فَتَارَةً يَكُونُ رِيَاءً مَحْضًا، بِحَيْثُ لَا يُرَادُ بِهِ سِوَى مُرَاءَاتِ الْمَخْلُوقِينَ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، كَحَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا))[النِّسَاءِ: ١٤٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ((فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ - الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ - الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ))[الْمَاعُونِ: ٤ – ٦] . وَكَذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ بِالرِّيَاءِ فِي قَوْلِهِ: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ

---

(٨٢) مجموع الرسائل (١\٨٨)

(٨٣) ((مُطَرِّفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ الحَرَشِيُّ العَامِرِيُّ الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الحُجَّةُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَرَشِيُّ، العَامِرِيُّ، البَصْرِيُّ، أَخُو يَزِيْدَ بنِ عَبْدِ اللهِ))[سير أعلام النبلاء (٤\١٨٧)].

النَّاسِ))[الأنفال: ٤٧]. وَهَذَا الرِّيَاءُ الْمَحْضُ لَا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الْوَاجِبَةِ أَوِ الْحَجِّ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، أَوِ الَّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُهَا، فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ، وَهَذَا الْعَمَلُ لَا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ مِنَ اللَّهِ وَالْعُقُوبَةَ. وَتَارَةً يَكُونُ الْعَمَلُ لِلَّهِ، وَيُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ، فَإِنْ شَارَكَهُ مِنْ أَصْلِهِ فَالنُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِهِ وَحُبُوطِهِ أَيْضًا. وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرِيكَهُ)).





٣- التزام السنة[٨٤] :

❖ متابعة النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان :

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلَ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةً لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَغَيْرِهَا، فَيُحِبُّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَيَكْرَهُ مَا نَهَى عَنْهُ. وَقَدْ وَرَدَ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. قَالَ تَعَالَى: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) [النِّسَاءِ: ٦٥] . وَقَالَ تَعَالَى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الْأَحْزَابِ: ٣٦] . وَذَمَّ سُبْحَانَهُ مَنْ كَرِهَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، أَوْ أَحَبَّ مَا كَرِهَهُ اللَّهُ، قَالَ: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)) [مُحَمَّدٍ: ٩] ، وَقَالَ تَعَالَى: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)) [مُحَمَّدٍ: ٢٨] [٨٥].

(٨٤) قال الحافظ رحمه الله : ((ثم صار في عرف كثير من العُلَمَاء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العِلْم تصانيف سموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العِلْم باسم السنة؛ لأنّ خطره عظيم، والمخالف فيه عَلَى شفا هلكة)).[مجموع الرسائل (١|٣٢٠)]

(٨٥) جامع العلوم والحكم (٢|٣٩٥-٣٩٦)



❖ شرطا قبول العمل[86] :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» .

قال الحافظ رحمه الله[87] : ((وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ كَالْمِيزَانِ لِلْأَعْمَالِ فِي ظَاهِرِهَا كَمَا أَنَّ حَدِيثَ: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» مِيزَانٌ لِلْأَعْمَالِ فِي بَاطِنِهَا، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى فَلَيْسَ لِعَامِلِهِ فِيهِ ثَوَابٌ، فَكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى عَامِلِهِ، وَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ)).

---

(٨٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((والعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به، والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله، فقد أخبر الله تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسنا في عمله فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب. ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين، كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)) [الملك: ٢]. قال: أخلصه وأصوبه، فقيل: يا أبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

وقد روى ابن شاهين واللالكائي عن سعيد بن جبير، قال: لا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة، ورويا عن الحسن البصري مثله، ولفظه: " لا يصلح " مكان " لا يقبل "..)) [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٥٩-٦٠)]

(٨٧) جامع العلوم والحكم (١|١٧٦)





❖ العلم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم :

لا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بتهربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، فهو الدليل عليه، وبه يُهْتدى في ظلمات الجهل والشبه والشكوك، وقد سمى الله كتابه نورًا يهتدى به في الظلمات.

كما قال تعالى: ((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) [المائدة : ١٥ – ١٦]

وقد ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل من حمل العلم الذي جاء به بالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات.

كما في "المسند" [٨٨] عن أنس رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا طُمِسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ)).

وهذا مثل في غاية المطابقة؛ لأنّ طريق التوحيد والعلم بالله تعالى وأحكامه، وثوابه وعقابه لا يدرك بالحس، إنما يعرف بالدليل، وقد بين ذلك كله في كتابه وعلى لسان رسوله.

فالعلماء بما أنزل الله على رسوله هم الأدلاء الذين يهتدى بهم في ظلمات الجهل والشبه والضلال، فإذا فقدوا ضل السالك.

(٨٨) المسند (٣|١٥٧)



وقد شبه العلماء بالنجوم، والنجوم في السماء، فيها ثلاث فوائد: يهتدى بها في الظلمات، وهي زينة للسماء، ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع منها.والعلماء في الأرض تجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة:

بهم يهتدى في الظلمات، وهم زينة للأرض، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل، ويدخلون في الدين ما ليحمنه من أهل الأهواء، وما دام العلم باقيًا في الأرض فالناس في هدى [٨٩]

❖ العالم من ضبط الكتاب والسنة :

فظهر بهذا أن أكمل العلماء وأفضلهم: العلماء بالله وبأمره الذين جمعوا بين العلمين وتلقوهما معًا من الوحيين -أعني: الكتاب والسنة- وعرضوا كلام الناس في العلمين معًا على ما جاء في الكتاب والسنة، فما وافق قبلوه، وما خالف ردوه.وهؤلاء خلاصة الخلق، وهم أفضل الناس بعد الرسل، وهم خلفاء الرسل حقًّا، وهؤلاء كثير في الصحابة، كالخلفاء الأربعة، ومعاذ، وأبي الدرداء، وسلمان، وابن مسعود وابن عمر، وابن عباس وغيرهم.وكذلك فيمن بعدهم كالحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والنخعي، ويحي بن أبي كثير.وفيمن بعدهم كالثوري، والأوزاعي، وأحمد، وغيرهم من العلماء الربانيين [٩٠]

(٨٩) مجموع الرسائل (١/١٤-١٥)

(٩٠) مجموع الرسائل (١/٢٠-٢١)



وقال أيضاً : ((...فأفضل الناس من سلك طريق النَّبيّ صلّى الله عليه وسلم وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية، فإنَّ سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان...و ما أُعْطِيتْ أمَّة ما أعطيت هذه الأمة ببركة متابعة نبيها - صلى الله عليه وسلم - حيث كان أفضل الخلق، وهديه أكمل الهدي، مع ما يسر الله عَلَى يديه من دينه ووضع به من الآصار والأغلال عن أمته.فمن أطاعه فقد أطاع الله، وأحبه الله واهتدى بهدى الله))[٩١].

❖ من هدي السلف في الاتباع :

قال الحافظ : ((فمن عرف قدر السَّلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام، والزيادة في البيان عَلَى مقدار الحاجة لم يكن عيًّا ولا جهلاً ولا قصورًا، وإنما كان ورعًا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع.وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق والحكم والمواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه.فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى، ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقيل والقال؛ فإن اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريبًا))[٩٢]

(٩١) مجموع الرسائل (٤١٥\٤)

(٩٢) مجموع الرسائل (٣٤\١)



❖ الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة :

قال الحافظ :((..فإن طريقَ الاقتصاد والمقاربة أفضلُ من غيرها، فمن سلكها فليبشر بالوصول فإنَّ الاقتصادَ في سنة خيرٌ من الاجتهاد في غيرها، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، فمن سلك طريقه كان أقرب إِلَى الله من غيره.وليست الفضائلُ بكثرة، الأعمال البدنية، لكن بكونها خالصةً لله عز وجل، صوابًا عَلَى متابعة السنة. وبكثرة معارف القلوب وأعمالها.فمن كان بالله أعرف وبدينه وأحكامه وشرائعه، وله أخوف وأحبَّ وأرجى فهو أفضلُ ممن ليس كذلك، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح))[٩٣].

---

(٩٣) مجموع الرسائل (٤١٢/٤)





٤- ملازمة خشية الله تعالى[٩٤] :

❖ تلازم العلم والخشية :

قال الحافظ في قوله تعالى: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)) [فاطر: ٢٨] : ((دلت هذه الآية عَلَى إثبات الخشية للعلماء بالاتفاق، وعلى نفيها عن غيرهم عَلَى أصح القولين، وعلى نفي العِلْم عن غير أهل الخشية أيضاً))[٩٥].

وقال : ((..فإن العلم التام يستلزم الخشية كما قال تعالى : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)) [فاطر: ٢٨] فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم كان له أخشى وأتقى، إنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله. وقد خرج البخاري في آخر " صحيحه " عن مسروق قال: قالت عائشة: صنع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا ترخص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحمد الله ثم قال: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً))[٩٦]..[٩٧]

---

(٩٤) قال ابن القيم رحمه الله : ((الْخَشْيَةُ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)) [فاطر: ٢٨] فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً» ...)) [مدراج السالكين (١\٥٠٨)].

(٩٥) مجموع الرسائل (٢\٧٧١)

(٩٦) البخاري برقم (٧٣٠١)

(٩٧) فتح الباري (١\٩٠)



وقال[٩٨] : ((قد تقدم بيان دلالة الآية عَلَى أن من خشي ـ الله وأطاعه، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، فهو عالم؛ لأنّه لا يخشاه إلا عالم.
وعلى نفي الخشية عن غير العُلَمَاء، ونفي العِلْم عن غير أُولي الخشية أيضاً، وأن من لم يخش الله فليس بعالم، وبذلك فسرها السَّلف.

❖ من كلام السلف في تفسير الخشية :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((يريد إِنَّمَا يخافني من خلقي مَن علم جبروتي وعزّتي وجلالي وسلطاني)).
وعن مجاهد[٩٩] والشعبي رحمهما الله : ((العالِم من خاف الله)).
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً)).
وعن عطاء الخراساني رحمه الله [١٠٠] في هذه الآية قال: ((العُلَمَاء بالله الذين يخافونه)).
وعن أبي العالية رحمه الله [١٠١]((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ)) [البقرة: ٢٦٩]، قال: ((الحكمة : الخشية، فإن خشية الله رأس كل حكمة)).

---

(٩٨) مجموع الرسائل (٢\٧٨٦) وما بعدها
(٩٩) ((مُجَاهِدُ بنُ جَبْرٍ أَبُو الحَجَّاجِ المَكِّيُّ الأَسْوَدُ ، الإِمَامُ، شَيْخُ القُرَّاءِ وَالمُفَسِّرِيْنَ، أَبُو الحَجَّاجِ المَكِّيُّ، الأَسْوَدُ، مَوْلَى السَّائِبِ بنِ أَبِي السَّائِبِ المَخْزُوْمِيِّ))[سير أعلام النبلاء (٤\٤٤٩)].
(١٠٠) ((هُوَ عَطَاءُ بنُ أَبِي مُسْلِمٍ المُحَدِّثُ، الوَاعِظُ، نَزِيْلُ دِمَشْقَ وَالقُدْسِ))[سير أعلام النبلاء (٦\١٤٠)].





وروى الدارمي من طريق عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))، قال: ((من خشي الله فهو عالمٌ)) [١٠٢].

وعن علي رضي الله عنه[١٠٣] قال: ((يا حملة العِلْم اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم فوافق علمه عمله، وسيكون أقوامٌ يحملون العِلْم، ولا يجاوز تراقيهم، يخالف علمهم عملهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حِلَقًا فيباهي بعضهم بعضًا، حتى أن الرجل ليغضب عَلَى جليسه أن يجلس إِلَى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إِلَى الله عز وجل))[١٠٤].

وعن مسروق رحمه الله[١٠٥] قال: ((كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله عز وجل، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله)).

---

(١٠١) ((أَبُو العَالِيَةِ رُفَيْعُ بنُ مِهْرَانَ الرِّيَاحِيُّ البَصْرِيُّ ، الإِمَامُ، المُقْرِئُ، الحَافِظُ، المُفَسِّرُ، أَبُو العَالِيَةِ الرِّيَاحِيُّ، البَصْرِيُّ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ)) [سير أعلام النبلاء (٤\٢٠٧)].

(١٠٢) في "السنن" برقم (٣٣٣).

(١٠٣) ((علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمير المؤمنين، أبو الحسن القرشي الهاشمي. كان من السابقين الأولين، شهد بدرا وما بعدها، وكان يكنى أبا تراب أيضا))

(١٠٤) انظر : "اقتضاء العلم العمل " (٩)

(١٠٥) ((مَسْرُوْقُ بنُ الأَجْدَعِ بنِ مَالِكِ الوَادِعِيُّ الهَمْدَانِيُّ الإِمَامُ، القُدْوَةُ، العَلَمُ، أَبُو عَائِشَةَ الوَادِعِيُّ، الهَمْدَانِيُّ، الكُوْفِيُّ)) [سير أعلام النبلاء (٤\٦٣)]



وعن ابن عمر رضي الله عنهما[١٠٦] قال: ((لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمنًا)) [١٠٧].وعن أبي حازم [١٠٨] نحوه.

ومنه قول الحسن رحمه الله: ((إِنَّمَا الفقيه الزاهد في الدُّنْيَا الراغب في الآخرة، البصير بدينه المداوم عَلَى عبادة ربه)).

وعن عبيد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٠٩] سأل عبد الله بن سلام رضي الله عنه[١١٠]: من أرباب العِلْم؟ قال: ((الذين يعملون بما يعلمون)) [١١١].

وقال رجل للشعبي رحمه الله : أفتني أيها العالم، فَقَالَ: ((إِنَّمَا العالم من يخاف الله)).

وعن الربيع بن أنس رحمه الله، عن بعض أصحابه قال: ((علامة العِلْم خشية الله عز وجل)).

---

(١٠٦) ((عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ القُرَشِيُّ، العَدَوِيُّ، المَكِّيُّ، ثُمَّ المَدَنِيُّ)) [سير أعلام النبلاء (٣\٢٠٣-٢٠٤)]

(١٠٧) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٣٠٦).

(١٠٨) ((أَبُو حَازِمٍ الأَشْجَعِيُّ سَلْمَانُ الكُوْفِيُّ ، صَاحِبُ أَبِي هُرَيْرَةَ، مُحَدِّثٌ، ثِقَةٌ))[سير أعلام النبلاء (٥\٧)].

(١٠٩) ((عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق رضي الله عنه)).

(١١٠) ((عَبْدُ اللهِ بنُ سَلاَمِ بنِ الحَارِثِ الإِسْرَائِيْلِيُّ ، الإِمَامُ، الحَبْرُ، المَشْهُوْدُ لَهُ بِالجَنَّةِ، أَبُو الحَارِثِ الإِسْرَائِيْلِيُّ، حَلِيْفُ الأَنْصَارِ.مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-))[سير أعلام النبلاء (٢\٤١٣)].

(١١١) أخرجه الدارمي في "السنن" (٥٧٥).



وسئل سعد بن إبراهيم رحمه الله[١١٢]: من أفقه أهل المدينة؟ قال: ((أتقاهم لربه)).

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن معروف، وقِيلَ لَهُ: هل كان معه علم؟ فَقَالَ: ((كان معه أصل العِلْم، خشية الله عز وجل)).

ويشهد لهذا قوله تعالى: ((أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) [الزمر: ٩]

كذلك قوله تعالى: ((إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ)) [النساء: ١٧]...))

❖ فقد العلم يستلزم فقد الخشية :

قال الحافظ[١١٣] : <u>ومما يُبين أن العِلْم يوجب الخشية، وأن فقده يستلزم فقد الخشية وجوه</u>:

أحدها: أن العِلْم بالله تعالى وماله من الأسماء والصفات كالكبرياء والعظمة والجبروت والعزة وغير ذلك يوجب خشيته، وعدم ذلك يستلزم فقد هذه الخشية.

---

(١١٢) ((سَعْدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ ، الإِمَامُ الحُجَّةُ، الفَقِيْهُ، قَاضِي المَدِيْنَةِ، أَبُو إِسْحَاقَ - وَيُقَالُ: أَبُو إِبْرَاهِيْمَ - القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ، المَدَنِيُّ))[سير أعلام النبلاء (٥\٤١٨)].

(١١٣) مجموع الرسائل (٢\٧٨٩-٨٠٠) تلخيصاً

الوجه الثاني: أن العِلْم بتفاصيل أمر الله ونهيه والتصديق الجازم بذلك، وبما يترتب عليه من الوعد والوعيد، والثواب والعقاب مع تيقن مراقبة الله واطلاعه ومشاهدته، ومقته لعاصيه، وحضور الكرام الكاتبين كل هذا يوجب الخشية، وفعل المأمور وترك المحظور، وإنَّما يمنع الخشية ويوجب الوقوع في المحظورات الغفلة عن استحضار هذه الأمور، والغفلة من أضداد العِلْم.

والغفلة والشهوة أصل الشر، قال تعالى: ((وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) [الكهف: ٢٨]

والشهوة وحدها لا تستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل، فإن صاحب الهوى لو استحضر هذه الأمور المذكورة، وكانت موجودة في ذكره، لأوجبت له الخشية القامعة لهواه، ولكن غفلته عنها مما يوجب نقص إيمانه الَّذِي أصله التصديق الجازم المترتب عَلَى التصور التام، ولهذا كان ذكر الله وتوحيده والثناء عليه يُزيد الإيمان، والغفلة والإعراض عن ذلك يُضعفه ويُنقصه، كما كان يقول من يقول من الصحابة: ((اجلسوا بنا نؤمن ساعة))(١١٤)

الوجه الثالث: أن تصور حقيقة المخوف يوجب الهرب منه، وتصور حقيقة المحبوب يوجب طلبه، فإذا لم يهرب من هذا، ولم يطلب هذا، دل عَلَى أن تصوره لذلك ليس تامًّا، وإن كان قد تصور الخبر عنه، وتصور الخبر وتصديقه وحفظ حروفه غير تصور المخبر به، فَإِذَا أخبر بما هو محبوب أو مكروه له، ولم يكذب الخبر، بل عرف صدقه،

(١١٤) ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الإيمان -باب قول النبي صلّى الله عليه وسلم بني الإسلام عَلَى خمس".



لكن قلبه مشغول بأمور أخرى عن تصور ما أخبر به، فهذا لا يتحرك للهرب ولا للطلب.

الوجه الرابع: أن كثيرًا من الذنوب قد يكون شب وقوعه جهل فاعله بحقيقة قبحه وبغض الله له، وتفاصيل الوعيد عليه، وإن كان عالمًا بأصل تحريمه وقبحه، لكنه يكون جاهلاً بما ورد فيه من التغليظ والتشديد ونهاية القبح، فجهله بذلك هو الَّذِي جرأه عليه وأوقعه فيه، ولو كان عالمًا بحقيقة قبحه لأوجب ذلك العِلْم تركه خشية من عقابه.

الخامس: أن كل من علم علماً تامًّا جازمًا بأن فعل شيء يضره ضررًا راجحًا ولم يفعله فإن هذا خاصة العاقل، فإن نفسه تنصرف عما يعلم رجحان ضرره بالطبع.

فإن الله جعل في النفس حبًّا لما ينفعها، وبغضًا لما يضرها فلا يفعل ما يجزم بأنه يضرها ضررًا راجحًا، ولا يقع ذلك إلا مع ضعيف العقل؛ فإن السقوط من موضع عالٍ أو في نهرٍ مغرقٍ، والمرور تحت حائط يخشى سقوطه، ودخول نار متأججة، ورمي المال في البحر ونحو ذلك، لا يفعله من هو تام العقل؛ لعلمه بأن هذا ضررٌ لا منفعة فيه، وإنَّما يفعله من لم يعلم ضرره كالصبي والمجنون والساهي والغافل.

الوجه السادس هو: أن لذات الذنوب لا نسبة لها إِلَى ما فيها من الآلام والمفاسد البتة، فإن لذاتها سريعة الانقضاء، وعقوباتها وآلامها أضعاف ذلك، ولهذا قيل: ((إن الصبر عَلَى المعاصي أهون من الصبر عَلَى عذاب الله)).وقيل: ((رب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلاً)).

الوجه السابع وهو: أن المقدم عَلَى موافقة المحظور إِنَّمَا أوجب إقدامه عليه ما فيه من اللذة الحاصلة له به فظن أنَّه تحصل له لذَّته العاجلة ورجى أن يتخلص من تبعته بسبب من الأسباب ولو بالعفو المجرد فينال به لذَّة ولا يلحقه به مضرة وهذا من أعظم الجهل، والأمر بعكس باطنه فإن الذنوب يتبعها ولابد من الهموم والآلام وضيق الصدر والنكد وظلمة القلب وقسوته أضعاف أضعاف ما فيها من اللذة، ويفوت بها من حلاوة الطاعات وأنوار الإيمان وسرور القلب ببهجة الحقائق والمعارف ما لا يوازي الذَّرة منه جميع لذات الدُّنْيَا، فيحصل لصاحب المعصية العيشة الضنك وتفوته الحياة الطيبة فينعكس قصده بارتكاب المعصية؛ فإن الله ضمن لأهل الطاعة الحياة الطيبة ولأهل المعصية العيشة الضنك قال تعالى: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى))[طه: ١٢٤]



٥- تقوى الله[١١٥] :

❖ الوصية بتقوى الله :

عَـنْ أَبِي ذَرٍّ ومعـاذِ بـن جَبَـلٍ[١١٦] - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَـا -: أَنَّ رَسـولَ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - قـال:((اتَّقِ اللهِ حَيثُمَـا كُنْـتَ، وأَتْبِـعِ السَّـيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَـا، وخَـالِقِ النَّـاسَ بِخُلُـقٍ حَسَـنٍ)) . رواه التِّرمِـذيُّ[١١٧] وقـال: حَديثٌ حَسنٌ، وفي بعضِ النُّسَخ: حَسَنٌ صَحيحٌ

فَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ وَصِيَّةٌ عَظِيمَـةٌ جَامِعَـةٌ لِحُقُـوقِ اللَّهِ وَحُقُـوقِ عِبَـادِهِ، فَـإِنَّ حَـقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَـادِهِ أَنْ يَتَّقُـوهُ حَـقَّ تُقَاتِـهِ، وَالتَّقْـوَى وَصِـيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوَّلِـينَ وَالْآخِرِينَ. قَالَ تَعَالَى: ((وَلَقَـدْ وَصَّـيْنَا الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِـنْ قَـبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ)) [النِّسَاءِ: ١٣١] .

❖ تعريفها :

وَأَصْلُ التَّقْوَى أَنْ يَجْعَـلَ الْعَبْـدُ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ مَـا يَخَافُـهُ وَيَحْـذَرُهُ وِقَايَـةً تَقِيـهِ مِنْهُ، فَتَقْوَى الْعَبْدِ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَـا يَخْشَـاهُ مِـنْ رَبِّـهِ مِـنْ غَضَـبِهِ وَسُـخْطِهِ وَعِقَابِـهِ وِقَايَـةً تَقِيـهِ مِـنْ ذَلِـكَ وَهُـوَ فِعْـلُ طَاعَتِـهِ وَاجْتِنَـابُ مَعَاصِـيهِ. وَتَـارَةً تُضَـافُ التَّقْـوَى إِلَى اسْـمِ اللَّهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، كَقَـوْلِهِ تَعَـالَى:

(١١٥) تلخيصاً من جامع العلوم والحكم (١\٣٩٥) وما بعدها

(١١٦) ((مُعَاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِو بنِ أَوْسٍ الأَنْصَارِيُّ ، السَّيِّدُ، الإِمَامُ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، المَدَنِيُّ، البَدْرِيُّ، شَهِدَ العَقَبَةَ شَابّاً أَمْرَدَ))[سير أعلام النبلاء (١\٤٤٣-٤٤٤)].

(١١٧) برقم (١٩٨٧) ، قال الإمام الألباني : ((حسن، المشكاة (٥٠٨٣) ، الروض النضير (٨٥٥)))



((وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)) [الْمَائِدَةِ: ٩٦] ، وَقَوْلِهِ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [الْحَشْرِ: ١٨] ، فَإِذَا أُضِيفَتِ التَّقْوَى إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَالْمَعْنَى: اتَّقُوا سُخْطَهُ وَغَضَبَهُ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا يُتَّقَى، وَعَنْ ذَلِكَ يَنْشَأُ عِقَابُهُ الدُّنْيَوِيُّ وَالْأُخْرَوِيُّ، قَالَ تَعَالَى: ((وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ))[آلِ عِمْرَانَ: ٢٨] ، وَقَالَ تَعَالَى: ((هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)) [الْمُدَّثِّرِ: ٥٦] ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَهْلُ أَنْ يُخْشَى وَيُهَابَ وَيُجَلَّ وَيُعَظَّمَ فِي صُدُورِ عِبَادِهِ حَتَّى يَعْبُدُوهُ وَيُطِيعُوهُ، لِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَصِفَاتِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَقُوَّةِ الْبَطْشِ، وَشِدَّةِ الْبَأْسِ.

وَتَارَةً تُضَافُ التَّقْوَى إِلَى عِقَابِ اللَّهِ وَإِلَى مَكَانِهِ، كَالنَّارِ، أَوْ إِلَى زَمَانِهِ، كَيَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)) [آلِ عِمْرَانَ: ١٣١] ، وَقَالَ تَعَالَى: ((فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)) [الْبَقَرَةِ: ٢٤]

❖ ما يدخل في التقوى :

وَيَدْخُلُ فِي التَّقْوَى الْكَامِلَةِ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَرُبَّمَا دَخَلَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِعْلُ الْمَنْدُوبَاتِ، وَتَرْكُ الْمَكْرُوهَاتِ، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((الم - ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ - الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ





الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ - وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)) [الْبَقَرَة: ١ - ٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ((وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) [الْبَقَرَة: ١٧٧].

❖ من أقوال السلف في التقوى :

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: ((يُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ فَيَقُومُونَ فِي كَنَفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ لَا يَحْتَجِبُ مِنْهُمْ وَلَا يَسْتَتِرُ، قَالُوا لَهُ: مَنِ الْمُتَّقُونَ؟ قَالَ: قَوْمٌ اتَّقَوُا الشِّرْكَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ بِالْعِبَادَةِ))(١١٨).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ((الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللَّهِ عُقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْهُدَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ فِي التَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ))(١١٩).

وَقَالَ الْحَسَنُ رحمه الله: ((الْمُتَّقُونَ اتَّقَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ)).

---

(١١٨) أخرجه: ابن أبي حاتم في " تفسيره "(١\٣٥)

(١١٩) أخرجه: الطبري في " تفسيره " (١\٧٧)





وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله [١٢٠]: ((لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا، فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ)).

وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ رحمه الله [١٢١]: ((التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ)).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه [١٢٢] قَالَ: ((تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ الْعَبْدُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَحَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ لِلْعِبَادِ الَّذِي يُصَيِّرُهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) [الزَّلْزَلَةِ: ٧، ٨]، فَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ أَنْ تَفْعَلَهُ، وَلَا شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ أَنْ تَتَّقِيَهُ)) [١٢٣].

---

(١٢٠) ((عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ مَرْوَانَ الأُمَوِيُّ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، العَلاَّمَةُ، المُجْتَهِدُ، الزَّاهِدُ، العَابِدُ، السَّيِّدُ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ حَقّاً، أَبُو حَفْصٍ القُرَشِيُّ، الأُمَوِيُّ، المَدَنِيُّ، ثُمَّ المِصْرِيُّ، الخَلِيْفَةُ، الزَّاهِدُ، الرَّاشِدُ، أَشَجُّ بَنِي أُمَيَّةَ)) [سير أعلام النبلاء (٥/١١٤)].

(١٢١) ((طَلْقُ بنُ حَبِيْبٍ العَنَزِيُّ، بَصْرِيٌّ، زَاهِدٌ كَبِيْرٌ، مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ. وَكَانَ طَيِّبَ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ، بَرّاً بِوَالِدَيْهِ))[سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١)].

(١٢٢) ((الإِمَامُ، القُدْوَةُ، قَاضِي دِمَشْقَ، وَصَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبُو الدَّرْدَاءِ، عُوَيْمِرُ بنُ زَيْدِ بنِ قَيْسٍ. حَكِيْمُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَسَيِّدُ القُرَّاءِ بِدِمَشْقَ))[سير أعلام النبلاء (٢/٣٣٥)].

(١٢٣) أخرجه: نعيم بن حماد في " زياداته على الزهد " لعبد الله بن المبارك (٧٩)



وَقَالَ الْحَسَنُ رحمه الله: ((مَا زَالَتِ التَّقْوَى بِالْمُتَّقِينَ حَتَّى تَرَكُوا كَثِيرًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الْحَرَامِ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ رحمه الله : ((إِنَّمَا سُمُّوا مُتَّقِينَ، لِأَنَّهُمُ اتَّقَوْا مَا لَا يُتَّقَى)).

وَقَالَ مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ رحمه الله: ((الْمُتَّقُونَ تَنَزَّهُوا عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ، فَسَمَّاهُمُ اللَّهُ مُتَّقِينَ)).

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ رحمه الله [١٢٤]: ((الْمُتَّقِي أَشَدُّ مُحَاسَبَةً لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِيكِ الشَّحِيحِ لِشَرِيكِهِ)).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ((اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ})) [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢] ، قَالَ: ((أَنْ يُطَاعَ، فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ، فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ، فَلَا يُكْفَرَ)) [١٢٥] وَشُكْرُهُ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَمَعْنَى ذِكْرِهِ فَلَا يُنْسَى: ذِكْرُ الْعَبْدِ بِقَلْبِهِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ فَيَمْتَثِلُهَا، وَلِنَوَاهِيهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فَيَجْتَنِبُهَا. وَقَدْ يَغْلِبُ اسْتِعْمَالُ التَّقْوَى عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ كَمَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَسُئِلَ عَنِ التَّقْوَى، فَقَالَ: ((هَلْ أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُ الشَّوْكَ عَدَلْتُ عَنْهُ، أَوْ جَاوَزْتُهُ، أَوْ قَصَّرْتُ عَنْهُ، قَالَ: ذَاكَ التَّقْوَى)) [١٢٦].

---

(١٢٤) ((مَيْمُوْنُ بنُ مِهْرَانَ الجَزَرِيُّ ، الإِمَامُ، الحُجَّةُ، عَالِمُ الجَزِيْرَةِ، وَمُفْتِيْهَا، أَبُو أَيُّوْبَ الجَزَرِيُّ، الرَّقِّيُّ، أَعْتَقَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي نَصْرِ بنِ مُعَاوِيَةَ بِالكُوْفَةِ، فَنَشَأَ بِهَا، ثُمَّ سَكَنَ الرَّقَّةَ))[سير أعلام النبلاء (٥\٧١)].

(١٢٥) أخرجه: الطبراني (٨٥٠١) و (٨٥٠٢)

(١٢٦) أخرجه: ابن أبي الدنيا في " كتاب التقوى " كما في " الدر المنثور " (١\٥٧)



وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ:

خَلِّ الذُّنوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

❖ التلازم بين التقوى والعلم :

وَأَصْلُ التَّقْوَى: أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ مَا يُتَّقَى ثُمَّ يَتَّقِي.

قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رحمه الله (١٢٧): ((تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ تَبْتَغِيَ عِلْمَ مَا لَمْ يُعْلَمْ مِنْهَا إِلَى مَا عُلِمَ مِنْهَا)).

وَذَكَرَ مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ رحمه الله عَنْ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ رحمه الله ، قَالَ: ((كَيْفَ يَكُونُ مُتَّقِيًا مَنْ لَا يَدْرِي مَا يَتَّقِي؟)) ، ثُمَّ قَالَ مَعْرُوفٌ: ((إِذَا كُنْتَ لَا تُحْسِنُ تَتَّقِي أَكَلْتَ الرِّبَا، وَإِذَا كُنْتَ لَا تُحْسِنُ تَتَّقِي لَقِيَتْكَ امْرَأَةٌ فَلَمْ تَغُضَّ بَصَرَكَ، وَإِذَا كُنْتَ لَا تُحْسِنُ تَتَّقِي وَضَعْتَ سَيْفَكَ عَلَى عَاتِقِكَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ: ((إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي قَدِ اخْتَلَفَتْ، فَاعْمَدْ إِلَى سَيْفِكَ فَاضْرِبْ بِهِ أُحُدًا))(١٢٨) ثُمَّ قَالَ مَعْرُوفٌ: وَمَجْلِسِي هَذَا لَعَلَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّقِيَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَمَجِيئُكُمْ مَعِي مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى هَاهُنَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّقِيَهُ، أَلَيْسَ

---

(١٢٧) ((عَوْنُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ الهُذَلِيُّ ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، العَابِدُ، أَبُو عَبدِ اللهِ الهُذَلِيُّ، الكُوْفِيُّ، أَخُو فَقِيْهِ المَدِيْنَةِ عُبَيْدِ اللهِ)).

(١٢٨) رواه ابن أبي شيبة (٣٧١٩٨)



جَـاءَ فِي الْحَـدِيثِ: ((«إِنَّـهُ فِتْنَـةٌ لِلْمَتْبُـوعِ مَذَلَّـةٌ لِلتَّـابِعِ)) [١٢٩] ؟)) يَعْـنِي: مَشْيَ النَّاسِ خَلْفَ الرَّجُلِ.

❖ مما يعين على التقوى :

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِيَّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ لَمَّـا وَصَّى مُعَـاذًا بِتَقْـوَى اللَّهِ سِرًّا وَعَلَانِيَـةً، أَرْشَـدَهُ إِلَى مَـا يُعِينُـهُ عَلَى ذَلِـكَ وَهُـوَ أَنْ يَسْـتَحْيِيَ مِـنَ اللَّهِ كَمَـا يَسْتَحْيِي مِـنْ رَجُـلٍ ذِي هَيْبَـةٍ مِـنْ قَوْمِـهِ. وَمَعْـنَى ذَلِـكَ أَنْ يَسْتَشْـعِرَ دَائِمًـا بِقَلْبِهِ قُرْبَ اللَّهِ مِنْهُ وَاطِّلَاعَهُ عَلَيْهِ فَيَسْـتَحْيِي مِـنْ نَظَـرِهِ إِلَيْـهِ. وَقَـدِ امْتَثَـلَ مُعَاذٌ مَـا وَصَّـاهُ بِـهِ النَّـبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وَكَانَ عُمَـرُ قَـدْ بَعَثَـهُ عَلَى عَمَلٍ، فَقَدِمَ وَلَيْسَ مَعَـهُ شَيْءٌ، فَعَاتَبَتْـهُ امْرَأَتُـهُ، فَقَـالَ: كَانَ مَـعِي ضَـاغِطٌ، يَعْنِي: مَنْ يُضَـيِّقُ عَلَيَّ وَيَمْنَعُـنِي مِـنْ أَخْـذِ شَيْءٍ، وَإِنَّمَـا أَرَادَ مُعَـاذٌ رَبَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ، فَظَنَّـتِ امْرَأَتُـهُ أَنَّ عُمَـرَ بَعَـثَ مَعَـهُ رَقِيبًـا، فَقَامَـتْ تَشْـكُوهُ إِلَى النَّاسِ. وَمَنْ صَارَ لَهُ هَذَا الْمَقَامُ حَـالًا دَائِمًـا أَوْ غَالِبًـا، فَهُـوَ مِـنَ الْمُحْسِـنِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَـهُ، وَمِـنَ الْمُحْسِـنِينَ الَّذِيـنَ يَجْتَنِبُـونَ كَبَـائِرَ الْإِثْـمِ وَالْفَـوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَـمَ. وَفِي الْجُمْلَـةِ فَتَقْـوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ هُـوَ عَلَامَـةُ كَمَـالِ الْإِيمَـانِ، وَلَهُ تَـأْثِيرٌ عَظِـيمٌ فِي إِلْقَـاءِ اللَّهِ لِصَـاحِبِهِ الثَّنَـاءَ فِي قُلُـوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

(١٢٩) أخرجه: نعيم بن حماد في " زياداته على الزهد " لعبد الله بن المبارك (٤٨) ، وهو موقوف على عمر بن الخطاب.



وقَـالَ أَبُـو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنـه: ((لِيَتَّـقِ أَحَـدُكُمْ أَنْ تَلْعَنَـهُ قُلُـوبُ الْمُـؤْمِنِينَ وَهُـوَ لَا يَشْـعُرُ، يَخْلُـو بِمَعَـاصِي اللَّهِ، فَـيُلْقِي اللَّهُ لَهُ الْبُغْـضَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ))[١٣٠].

وَقَـالَ سُـلَيْمَانُ التَّـيْمِيُّ رحمـه الله: ((إِنَّ الرَّجُـلَ لَيُصِـيبُ الذَّنْـبَ فِي السِّرِّ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ)).

وَقَالَ غَيْرُهُ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيُـذْنِبُ الذَّنْـبَ فِيمَـا بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ اللَّهِ، ثُـمَّ يَـجِيءُ إِلَى إِخْوَانِهِ، فَيَرَوْنَ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْـهِ))، وَهَـذَا مِـنْ أَعْظَـمِ الْأَدِلَّـةِ عَلَى وُجُـودِ الْإِلَهِ الْحَقِّ الْمُجَازِي بِـذَرَّاتِ الْأَعْمَـالِ فِي الدُّنْيَـا قَبْـلَ الْآخِـرَةِ، وَلَا يَضِـيعُ عِنْـدَهُ عَمَـلُ عَامِـلٍ، وَلَا يَنْفَـعُ مِـنْ قُدْرَتِـهِ حِجَـابٌ وَلَا اسْـتِتَارٌ، فَالسَّـعِيدُ مَـنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَصْـلَحَ مَـا بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ اللَّهِ أَصْـلَحَ اللَّهُ مَـا بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ الْخَلْـقِ، وَمَـنِ الْتَمَـسَ مَحَامِـدَ النَّـاسِ بِسُـخْطِ اللَّهِ، عَادَ حَامِـدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا لَهُ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رحمـه الله: ((إِنَّ الْخَـاسِرَ مَـنْ أَبْـدَى لِلنَّـاسِ صَـالِحَ عَمَلِـهِ، وَبَارَزَ بِالْقَبِيحِ مَنْ هُـوَ أَقْـرَبُ إِلَيْـهِ مِـنْ حَبْـلِ الْوَرِيـدِ)). وَمِـنْ أَعْجَـبِ مَـا رُوِيَ فِي هَذَا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَـرٍ السَّـائِحِ قَـالَ: ((كَانَ حَبِيـبٌ أَبُـو مُحَمَّـدٍ تَاجِرًا يَكْـرِي الدَّرَاهِـمَ، فَمَـرَّ ذَاتَ يَـوْمٍ، فَـإِذَا هُـوَ بِصِـبْيَانٍ يَلْعَبُـونَ، فَقَـالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ جَاءَ آكِلُ الرِّبَـا، فَـنَكَّسَ رَأْسَـهُ، وَقَـالَ: يَـا رَبِّ، أَفْشَـيْتَ سِرِّي إِلَى الصِّـبْيَانِ، فَرَجَـعَ فَجَمَـعَ مَـالَهُ كُلَّـهُ، وَقَـالَ: يَـا رَبِّ إِنِّي أَسِـيرٌ، وَإِنِّي قَدِ اشْتَرَيْتُ نَفْسِي مِنْكَ بِهَذَا الْمَـالِ فَـأَعْتِقْنِي، فَلَمَّـا أَصْـبَحَ تَصَـدَّقَ بِالْمَـالِ كُلِّهِ وَأَخَذَ فِي الْعِبَـادَةِ، ثُـمَّ مَـرَّ ذَاتَ يَـوْمٍ بِأُولَئِـكَ الصِّـبْيَانِ، فَلَمَّـا رَأَوْهُ قَـالَ

(١٣٠) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية "(١/ ٢١٥)





بَعْضُـهُمْ لِبَعْـضٍ: اسْـكُتُوا فَقَـدْ جَـاءَ حَبِيـبٌ الْعَابِـدُ، فَـبَكَى وَقَـالَ: يَـا رَبِّ أَنْتَ تَذُمُّ مَرَّةً وَتَحْمَدُ مَرَّةً، وَكُلُّهُ مِنْ عِنْدِكَ)).





٦- كن ربانياً (١٣١) :

عن علي رضي الله عنه(١٣٢) أنه قال: ((الناس ثلاثة: فعالم رباني(١٣٣)، ومتعلم عَلَى سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العِلْم، ولم يلجئوا إِلَى ركن وثيق، ثم ذكر كلامًا في فضل العِلْم إِلَى أن قال: هاه إِنَّ ها هنها -وأشار إِلَى صدره- علمًا، لو أصبت له حملة، بل أصيبه لقنا غير مأمون عليه نستعمل آلة الدين

---

(١٣١) مجموع الرسائل (١\٣٢٤) وما بعدها

(١٣٢) بنحوه في حلية الأولياء (١\٧٩)

(١٣٣) قال السفاريني رحمه الله : ((الرَّبَّانِي: أَيِ الْعَالَمِ الْعَامِلِ، الْمُعَلِّمِ لِلْعِلْمِ غَيْرَهُ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّبِّ بِزِيَادَةِ الْأَلِفِ وَالنُّونِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الصِّفَةِ، وَهُوَ الشَّدِيدُ التَّمَسُّكِ بِدِينِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَطَاعَتِهِ، وَعَنِ الْمُبَرِّدِ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى رَبَّانَ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِالتَّعْلِيمِ.
وَقَالَ الصُّوفِيَّةُ: هُوَ الْكَامِلُ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ فِي جَمِيعِ الْمَعَانِي. وَفِي الْبُخَارِيِّ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبَّى بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الرَّبَّانِيُّ مَنْ أُفِيضَتْ عَلَيْهِ الْمَعَارِفُ الْإِلَهِيَّةُ، فَعَرَفَ بِهَا رَبَّهُ، وَعَرَفَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ، وَرَأَيْتُنِي كَاتِبًا فِي كِتَابِي " الْقَوْلِ الْعَلِيِّ فِي شَرْحِ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ " عِنْدَ قَوْلِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رِعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ ." مَا لَفْظُهُ: الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ وَهُوَ الَّذِي لَا زِيَادَةَ عَلَى فَضْلِهِ لِفَاضِلٍ، وَلَا مَنْزِلَةَ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ لِكَامِلٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الرَّبَّانِيُّ هُوَ الْمُعَلِّمُ، أَخَذَهُ مِنَ التَّرْبِيَةِ، أَيْ يُرَبِّي النَّاسَ بِالْعِلْمِ كَمَا يُرَبِّي الطِّفْلَ أَبُوهُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الْفَقِيهُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ. وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: زَادُوا أَلِفًا وَنُونًا فِي الرَّبَّانِيِّ إِذَا أَرَادُوا تَخْصِيصًا بِعِلْمِ الرَّبِّ، كَمَا قَالُوا: شَعْرَانِيٌّ وَلِحْيَانِيٌّ لِعَظِيمِ الشَّعْرِ وَاللِّحْيَةِ. وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الزَّاهِدُ: سَأَلْتُ ثَعْلَبًا عَنْ هَذَا الْحَرْفِ، وَهُوَ الرَّبَّانِيُّ، فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَالِمًا عَامِلًا مُعَلِّمًا، قِيلَ لَهُ: هَذَا رَبَّانِيٌّ، فَإِنْ حُرِمَ خَصْلَةً مِنْهَا لَمْ يُقَلْ لَهُ رَبَّانِيٌّ. وَفِي " مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ " لِلْإِمَامِ الْمُحَقِّقِ ابْنِ الْقَيِّمِ: مَعْنَى الرَّبَّانِيِّ الرَّفِيعُ الدَّرَجَةِ فِي الْعِلْمِ الْعَالِي الْمَنْزِلَةِ فِيهِ، وَعَلَى ذَلِكَ حَمَلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ((لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ)) [المائدة: ٦٣] انْتَهَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ))[لوامع الأنوار البهية (١\٦٢)].



للدنيا، نستظهر بحجج الله عَلَى كتابه، وبنعمته عَلَى عباده أو منقادًا لأهل الحق، لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا، ولا ذا، أو منهومًا باللذات سلس الانقياد للشهوات، أو مغرى بجمع المال والادخار، وليسا من دعاة الدين، أقرب شبهًا بهما الأنعام السارحة، كذلك يموت العِلْم بموت حامليه، اللَّهُمَّ بلى لن تخلوا الأرض عن قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عددًا والأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدونها إِلَى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العِلْم عَلَى حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأَنَسُوا بما استوحشَ منه الجاهلون، صحبوا الدُّنْيَا بأبدان، أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إِلَى دينه، هاه هاه شوقًا إِلَى رؤيتهم)).

❖ فقسم أمير المؤمنين- رضي الله عنه حملة العِلْم إِلَى ثلاث أقسام:

قسم هم أهل الشبهات، وهم من لا بصيرة له من حملة العِلْم؛ بل ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، فتأخذه الشبهة، فيقع في الحيرة والشكوك ويخرج من ذلك إِلَى البدع والضلالات.

وقسم هم أهل الشهوات، وجعلهم نوعين:

أحدهما: من يطلب الدُّنْيَا بنفس العِلْم، فيجعل العِلْم آلة لكسب الدُّنْيَا، والثاني: من يطلب الدُّنْيَا بغير العِلْم وهذا النوع ضربان:





أحدهما :من همه من الدُّنْيَا لذاتها وشهواتها، فهو منهوم بذلك، سريع الانقياد إِلَيْهِ

والثاني : من همه جمع الدُّنْيَا واكتنازها وادخارها، وكل هؤلاء ليسوا من دعاة الدين، وإنما هم كالأنعام، ولهذا شبه الله تعالى من حُمِّل التوراة ثم لم يحملها بالحمار الَّذِي يحمل أسفارًا، وشبه عالم السوء الَّذِي انسلخ من آيات الله وأخلد إِلَى الأرض واتبع هواه بالكلب، والكلب والحمار أخس الأنعام وأضل سبيلاً.

القسم الثالث : من حملة العِلْم هم أهله وحملته، ورعاته والقائمون بحجج الله وبيناته، وذكر أنهم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا إشاره إِلَى قلة هذا القسم وعزته في حملة العِلْم، وغربته بينهم....

ووصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هذا القسم من حملة العِلْم بصفات:

منها : أنه هجم بهم العِلْم عَلَى حقيقة الأمر، ومعنى ذلك أن العِلْم دلهم عَلَى المقصود الأعظم منه، وهو معرفة الله تعالى، فخافوه وأحبوه، حتى سهل بذلك عليهم كل ما تعسر عَلَى غيرهم ممن لم يصل إِلَى ما وصلوا إِلَيْهِ، ممن وقف مع الدُّنْيَا وزهرتها، واغتر بها ولم يباشر قلبه معرفة الله وعظمته وإجلاله.

فلذلك قال استلانوا ما استوعر منه المترفون، فإن المترف الواقف مع شهوات الدُّنْيَا ولذاتها يصعب عليه ترك لذاتها وشهواتها؛ لأنّه لا عوض عنده من لذات الدُّنْيَا إذا تركها، فهو لا يصبر عَلَى تركها.



وهؤلاء في قلوبهم العوض الأكبر بما وصلوا إِلَيْهِ من لذة معرفة الله ومحبته وإجلاله، كما كان الحسن يقول: إِنَّ أحباء الله هم الذين ورثوا طيب الحياة وذاقوا نعيمها بما وصلوا إِلَيْهِ من مناجاة حبيبهم، وبما وجدوا من لذة حبه في قلوبهم في كلام يطول ذكره هاهنا في هذا المعنى.

وإنما أنس هؤلاء بما استوحش منه الجاهلون؛ لأنّ الجاهلين بالله يستوحشون من ترك الدنيا وشهواتها؛ لأنهم لا يعرفون سواها، فهي أنسهم وهؤلاء يستوحشون من ذلك، ويستأنسون بالله وبذكره، ومعرفته ومحبته وتلاوة كتابه.

والجاهلون بالله يستوحشون من ذلك ولا يجدون الأنس به.

ومن صفاتهم التي وصفهم بها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: أنهم صحبوا الدُّنْيَا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، وهذا إشارة إِلَى أنهم لم يتخذوا الدنيا وطنًا، ولا رضوا بها إقامة ومسكنًا، إِنَّمَا اتخذوها ممرًّا ولم يجلوها مستقرًّا.

وجميع الكتب والرسل أوصت بهذا، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه في جملة وعظه لهم: ((يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)) [غافر: ٣٩]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عمر [١٣٤]: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وفي رواية: «وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ» [١٣٥]

---

(١٣٤) أخرجه البخاري (٦٤١٦)

(١٣٥) أخرجها أحمد (٢/ ٢٤) بلفظ: "واعدد نفسك في الموتى".



٧- احذر قسوة القلب(١٣٦) :

❖ عبرة من حال أهل الكتاب :

ليتدبر ما ذم به الله أهل الكتاب من قسوة القلوب بعد إتيانهم الكتاب، ومشاهدتهم الآيات، كإحياء القتيل المضروب ببعض البقرة، ثم نهينا عن التشبه بهم في ذلك فقيل لنا: ((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) [الحديد: ١٦].

وبين في موضع آخر سبب قسوة قلوبهم، فَقَالَ سبحانه: ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)) [المائدة: ١٣] فأخبر أن قسوة قلوبهم كان عقوبة لهم عَلَى نقضهم ميثاق الله، وهو مخالفتهم لأمره وارتكابهم لنهيه بعد أن أخذت عليهم مواثيق الله وعهوده ألا تفعلوا ذلك.

ثم قال تعالى: ((يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ)) [المائدة: ١٣]

(١٣٦) مجموع الرسائل (٣/٣٧-٣٨)





❖ عاقبة قسوة القلب :

فذكر أن قسوة قلوبهم أوجبت لهم خصلتين مذمومتين:

إحداهما: تحريف الكلم من بعد مواضعه.

والثانية: نسيانهم حظًّا مما ذكروا به، والمراد تركهم وإهمالهم نصيبًا مما ذكروا به من الحكمة والموعظة الحسنة، فنسوا ذلك وتركوا العمل به وأهملوه.

وهذان الأمران موجودان في الذين فسدوا من علمائنا، لمشابهتهم لأهل الكتاب.

أحدهما: تحريف الكلم، فإن من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعمل؛ بل بتحريف الكلم وصرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها، والتلطف في ذلك بأنواع الحيل اللطيفة من حملها عَلَى مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك.

والطعن في ألفاظ السنن حيث لم يمكنهم الطعن في ألفاظ الكتاب. ويذمون من تمسك بالنصوص وأجراها عَلَى ما يفهم منها ويسمونه جاهلا أو حشوياً.

وهذا يوجد في المتكلمين في أصول الديانات، وفي فقهاء الرأي وفي صوفية الفلاسفة والمتكلمين.

والثاني: نسيان حظ مما ذكروا به من العِلْم النافع فلا تتعظ قلوبهم؛ بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصًّا.

ونقل أهل الرأي في كتبهم عن بعض شيوخهم: أن ثمرات العلوم تدل عَلَى شرفها؛ فمن اشتغل بالتفسير فغايته أن يقص عَلَى الناس ويذكرهم،



ومـن اشـتغل بـرأيهم وعلمهـم فإنَّـه يفـتي ويقضي ـ ويحكـم ويـدرس، وهؤلاء لهم نصيب مـن لذيـن: ((يَعْلَمُـونَ ظَـاهِرًا مِـنَ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَهُـمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)) [الروم: ٧].

والحامل لهم عَلَى هذا شدة محبتهم للدنيا وعلوها.

ولو أنهم زهدوا في الدُّنْيَـا ورغبـوا في الآخـرة، ونصـحوا أنفسـهم وعبـاد الله لتمسكوا بمـا أنـزل الله عَلَى رسـوله، وألزمـوا النـاس بـذلك، فـكان النـاس حينئذ أكـثرهم لا يخرجـون عـن التقـوى، فـكان يكفـيهم مـا في نصـوص الكتاب والسـنة، ومـن خـرج مـنهم عنهمـا كان قلـيلاً، فـكان الله يقـيض من يفهم من معاني النصوص مـا يـرد بـه الخـارج عنهـا إِلَى الرجـوع إليهـا، ويستغني بـذلك عمـا ولدوه مـن الفـروع الباطلـة ، والحيـل المحرمـة الـتي بسببها فتحت أبـواب الربـا وغـيره مـن المحرمَّـات، واسـتحلت محـارم الله بأدنى الحيل كما فعل أهل الكتاب.

وهدى الله الذين آمنـو لمـا اختلفـوا فيـه مـن الحـق بإذنـه والله يهـدي مـن يشاء إِلَى صراط مستقيم .

❖ وأمَّا مزيلاتُ القسوة، فمتعددة أيضاً[١٣٧]:

أ- فمنهـا: كـثرةُ ذكـر الله الَّذِي يتواطـأ عليـه القلـب واللسـان؛ قـال المعلَّى بن زياد: إِنَّ رجـلاً قـال للحسـن: يـا أبـا سـعيد، أشـكو إليـك قسوه قلبي، قال: ((أدنه من الذكر)).

(١٣٧) تلخيصاً من مجموع الرسائل (١|٢٦٣)



وقال وهيب بن الورد رحمه الله [(١٣٨)]: ((نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئًا أرق لهذه القلوب ولا أشد استجلابًا للحق من قراءة القرآن لمن تدبره)).

وقال يحي بن مُعاذ رحمه الله[(١٣٩)]، وإبراهيم الخواص رحمه الله : ((دواءُ القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرَّع عند السحر، ومجالسة الصالحين)).

والأصل في إزالة قسوة القلوب بالذكر قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))[الرعد: ٢٨] وقوله تعالى: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)) [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)) [الحديد: ١٦]

ب- ومنها: الإحسانُ إلَى اليتامى والمساكين؛ روى ابن أبي الدنيا: ثنا علي بن الجعد، حدثني حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن أبي هريرة": "أَنَّ رَجُلًا، شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: ((إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ)). إسناده جيد[(١٤٠)]

---

(١٣٨) ((وُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ المَكِّيُّ أَخُو عَبْدِ الجَبَّارِ بنِ الوَرْدِ، العَابِدُ، الرَّبَّانِيُّ، أَبُو أُمَيَّةَ))[سير أعلام النبلاء (٧\١٩٨)].

(١٣٩) ((يَحْيَى بنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ الوَاعِظُ مِنْ كِبَارِ المَشَايِخِ، لَهُ كَلاَمٌ جَيِّدٌ، وَموَاعِظُ مَشْهُوْرَةٌ))[سير أعلام النبلاء (١٣\١٥)].

(١٤٠) وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣).



ونقل أبو طالب أنَّ رجلاً سأل أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- فَقَالَ له: كيف يرقُّ قلبي؟ قال: ((ادخل المقبرة، وامسح رأس اليتيم)).

ت- ومنها: كثرةُ ذكر الموت؛ ذكر ابنُ أبي الدُّنْيَا بإسناده، عن منصور بن عبد الرحمن، عن صفية : ((أنَّ امرأة أتت عائشة لتشكو إليها القسوة. فقالت: أكثري ذكر الموت، يرق قلبك وتقدرين عَلَى حاجتك. قالت: ففعلت، فآنست من قلبها رشدًا، فجاءت تشكر لعائشة -رضي الله عنها-)).

وكان غيرُ واحد من السلف، منهم سعيد بن جُبير رحمه الله [141]، وربيع بن أبي راشد رحمه الله يَقُولُونَ: ((لو فارق ذكرُ الموت قلوبنا ساعة لفسدت قلوبُنا)).

ث- ومنها: زيارةُ القبور بالتفكر في حال أهلها ومصيرهم؛ وقد سبق قولُ أحمد لـلذي سأله ما يُرقُّ قلبي؟ قال: ((ادخل المقبرة)).

وقد ثبت في "صحيح مسلم" [142]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ)).

---

(١٤١) ((سَعِيْدُ بنُ جُبَيْرِ بنِ هِشَامٍ الوَالِبِيُّ مَوْلاَهُم ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، المُقْرِئُ، المُفَسِّرُ، الشَّهِيْدُ، أَبُو مُحَمَّدٍ - وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ - الأَسَدِيُّ، الوَالِبِيُّ مَوْلاَهُم، الكُوْفِيُّ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ))[سير أعلام النبلاء (٣٢١\٤)].

(١٤٢) برقم (٩٧٦)





ج- ومنها: أكلُ الحلال؛ روى أبو نُعيم وغيرهُ، من طريق عُمر بن صالح الطرسوسي، قال: ذهبتُ أنا ويحيى الجلاء -وكان يقال إنّه من الأبدال- إِلَى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فسألتُه، وكان إِلَى جنبه بوران وزُهير الجمال، فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بم تلين القلوبُ؟ فنظر إِلَى أصحابه فغمزهم بعينه، ثم أطرق ثم رفع رأسه، فَقَالَ: ((يا بني بأكل الحلال)). فمررتُ كما أنا إِلَى أبي نصر بشر بن الحارث، فقلتُ له يا أبا نصر، بم تلين القلوب؛ فَقَالَ: ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب)). قلت: فإني جئتُ من عند أبي عبد الله قال: ((هيه.أي شي قال لك أبو عبد الله؟)) قلت: قال: ((بأكل الحلال)). فَقَالَ: ((جاء بالأصل، جاء بالأصل)). فمررتُ إِلَى عبد الوهاب الوراق، فقلتُ: يا أبا الحسن بم تلين القلوب؟ فَقَالَ: ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب)). قلت: ((فإني جئتُ من عند أبي عبد الله)). فاحمرت وجنتاه من الفرح. فَقَالَ لي: ((أي شيءٍ قال أبو عبد الله؟)) ، قلتُ: ((بأكل الحلال)). فَقَالَ: ((جاءك بالجوهر، جاءك بالجوهر، الأصل كمال الأصل)).



٨- الزهد(١٤٣):

❖ الوصية به :

عَـنْ سَـهْلِ بْـنِ سَـعْدٍ السَّـاعِدِيِّ رضي الله عنـه قَـالَ: «جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَى النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ دُلَّـنِي عَلَى عَمَـلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّـنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّـنِي النَّـاسُ، فَقَـالَ: ازْهَـدْ فِي الدُّنْيَـا يُحِبَّـكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ» رواه ابن ماجه(١٤٤)

قَـدِ اشْـتَمَلَ هَـذَا الْحَـدِيثُ عَلَى وَصِـيَّتَيْنِ عَظِيمَتَـيْنِ: إِحْـدَاهُمَا: الزُّهْـدُ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ مُقْتَضٍ لِمَحَبَّـةِ اللَّهِ عَـزَّ وَجَـلَّ لِعَبْـدِهِ. وَالثَّانِيَـةُ: الزُّهْـدُ فِيمَـا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنَّهُ مُقْتَضٍ لِمَحَبَّةِ النَّاسِ.

فَأَمَّـا الزُّهْـدُ فِي الدُّنْيَـا، فَقَـدْ كَـثُرَ فِي الْقُـرْآنِ الْإِشَـارَةُ إِلَى مَدْحِـهِ، وَإِلَى ذَمِّ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، قَـالَ تَعَـالَى: ((بَـلْ تُـؤْثِرُونَ الْحَيَـاةَ الدُّنْيَـا - وَالْآخِـرَةُ خَـيْرٌ وَأَبْـقَى)) [الْأَعْلَى: ١٧] ، وَقَـالَ تَعَـالَى: ((تُرِيـدُونَ عَـرَضَ الدُّنْيَـا وَاللَّهُ يُرِيـدُ الْآخِرَةَ)) [الْأَنْفَالِ: ٦٧] وَقَـالَ تَعَـالَى فِي قِصَّـةِ قَـارُونَ: ((فَخَـرَجَ عَلَى قَوْمِـهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيـدُونَ الْحَيَـاةَ الدُّنْيَـا يَالَيْـتَ لَنَـا مِثْـلَ مَـا أُوتِيَ قَـارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَـظٍّ عَظِيمٍ - وَقَـالَ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ وَيْلَكُـمْ ثَـوَابُ اللَّهِ خَـيْرٌ لِمَـنْ آمَـنَ وَعَمِـلَ صَـالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَـا إِلَّا الصَّـابِرُونَ)) إِلَى قَـوْلِهِ: ((تِلْـكَ الدَّارُ الْآخِـرَةُ نَجْعَلُهَـا لِلَّذِيـنَ لَا يُرِيـدُونَ عُلُـوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَـادًا وَالْعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِـينَ)) [الْقَصَـصِ: ٧٩ - ٨٣] ، وَقَـالَ تَعَـالَى: ((وَفَرِحُـوا

---

(١٤٣) جامع العلوم والحكم (٢|١٧٦) وما بعدها تلخيصاً

(١٤٤) في السنن (٤١٠٢) ، قال الإمام الألباني : ((صحيح، الصحيحة (٩٤٤) ، تحقيق الرياض (٤٧٥)))





بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ)) [الرَّعْدِ: ٢٦] وَقَالَ ((قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا)) [النِّسَاءِ: ٧٧] .وَقَالَ حَاكِيًا عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ:((يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ - يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)) [غَافِرٍ: ٣٨ - ٣٩] .

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا بِعَمَلِهِ وَسَعْيِهِ وَنِيَّتِهِ ...وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا وَحَقَارَتِهَا عِنْدَ اللهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ "[١٤٥] عَنْ جَابِرٍ[١٤٦] رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» .

---

(١٤٥) برقم (٢٩٥٧)

(١٤٦) ((جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ السَّلِمِيُّ ابْنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرَامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمَةَ، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، السَّلِمِيُّ، المَدَنِيُّ، الفَقِيْهُ.مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ شَهِدَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَوْتاً))[سير أعلام النبلاء (١٨٩|٣)].





وَفِيهِ أَيْضًا عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ الْفِهْرِيِّ رضي الله عنه(١٤٧) ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا تَرْجِعُ»(١٤٨) .

❖ تعريفه :

وَمَعْنَى الزُّهْدِ فِي الشَّيْءِ: الْإِعْرَاضُ عَنْهُ لِاسْتِقْلَالِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، وَارْتِفَاعِ الْهِمَّةِ عَنْهُ، يُقَالُ: شَيْءٌ زَهِيدٌ، أَيْ: قَلِيلٌ حَقِيرٌ.
وَقَدْ تَكَلَّمَ السَّلَفُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي تَفْسِيرِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَتَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُهُمْ عَنْهُ..

❖ مما يعين على الزهد :

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِ نَفْسِهِ، وَهَذَا يَنْشَأُ مِنْ صِحَّةِ الْيَقِينِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ضَمِنَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ، وَتَكَفَّلَ بِهَا، كَمَا قَالَ: ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)) [هُودٍ: ٦] ، وَقَالَ: ((وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)) [الذَّارِيَاتِ: ٢٢] ، وَقَالَ: ((فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ)) [الْعَنْكَبُوتِ: ١٧] .

---

(١٤٧) ((المستورد بن شداد بن عَمْرو القرشي الفهري. له ولأبيه صحبة، سكن الكوفة. وروى عنه الكوفيون والبَصْرِيّون والمِصْرِيون وغيرهم))[تهذيب الكمال (٢٧\٣٤٩) ط: مؤسسة الرسالة ، ت : بشار عواد].

(١٤٨) برقم (٢٨٥٨)



وَقَالَ الْحَسَنُ رحمه الله: ((إِنَّ مِنْ ضَعْفِ يَقِينِكَ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ((إِنَّ أَرْجَى مَا أَكُونُ لِلرِّزْقِ إِذَا قَالُوا لَيْسَ فِي الْبَيْتِ دَقِيقٌ)).

وَقَالَ مَسْرُوقٌ رحمه الله : ((إِنَّ أَحْسَنَ مَا أَكُونُ ظَنًّا حِينَ يَقُولُ الْخَادِمُ: لَيْسَ فِي الْبَيْتِ قَفِيزٌ مِنْ قَمْحٍ وَلَا دِرْهَمٌ)).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: ((أَسَرُّ أَيَّامِي إِلَيَّ يَوْمٌ أُصْبِحُ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ)).

وَقِيلَ لِأَبِي حَازِمٍ الزَّاهِدِ رحمه الله: مَا مَالُكَ؟ قَالَ: ((لِي مَالَانِ لَا أَخْشَى مَعَهُمَا الْفَقْرَ: الثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ)).

وَقِيلَ لَهُ: أَمَا تَخَافُ الْفَقْرَ؟ فَقَالَ: ((أَنَا أَخَافُ الْفَقْرَ وَمَوْلَايَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى؟!)).

وَدُفِعَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْمُوَفَّقِ وَرَقَةٌ، فَقَرَأَهَا فَإِذَا فِيهَا: ((يَا عَلِيَّ بْنُ الْمُوَفَّقِ أَتَخَافُ الْفَقْرَ وَأَنَا رَبُّكَ؟)) .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: ((أَصْلُ الزُّهْدِ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَالَ: الْقُنُوعُ هُوَ الزَّاهِدُ وَهُوَ الْغَنِيُّ)).

فَمَنْ حَقَّقَ الْيَقِينَ، وَثِقَ بِاللَّهِ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا، وَرَضِيَ بِتَدْبِيرِهِ لَهُ، وَانْقَطَعَ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ رَجَاءً وَخَوْفًا، وَمَنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا بِالْأَسْبَابِ الْمَكْرُوهَةِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا حَقِيقَةً، وَكَانَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا قَالَ عَمَّارٌ: ((كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى، وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغُلًا)).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: ((الْيَقِينُ أَنْ لَا تُرْضِيَ النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْمَدَ أَحَدًا عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَلُمْ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ،





فَـإِنَّ الـرِّزْقَ لَا يَسُـوقُهُ حِـرْصُ حَـرِيصٍ، وَلَا يَـرُدُّهُ كَرَاهَـةُ كَارِهٍ، فَـإِنَّ اللَّهَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى - بِقِسْـطِهِ وَعِلْمِـهِ وَحُكْمِـهِ - جَعَـلَ الـرَّوْحَ وَالْفَـرَحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ)).

وَكَانَ عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ رحمه الله لَا يَقُـومُ مِـنْ مَجْلِسِـهِ حَـتَّى يَقُـولَ: ((اللَّهُـمَّ هَبْ لَنَا يَقِينًا مِنْكَ حَتَّى تُهَـوِّنَ عَلَيْنَـا مَصَـائِبَ الدُّنْيَـا، وَحَـتَّى نَعْلَـمَ أَنَّـهُ لَا يُصِيبُنَا إِلَّا مَا كَتَبْتَ عَلَيْنَا، وَلَا يُصِيبُنَا مِنَ الرِّزْقِ إِلَّا مَا قَسَمْتَ لَنَا)).

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُـونَ الْعَبْـدُ إِذَا أُصِـيبَ بِمُصِـيبَةٍ فِي دُنْيَـاهُ مِـنْ ذَهَـابِ مَـالٍ، أَوْ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ - أَرْغَبَ فِي ثَـوَابِ ذَلِـكَ مِمَّـا ذَهَـبَ مِنْـهُ مِـنَ الدُّنْيَـا أَنْ يَبْقَى لَهُ، وَهَذَا أَيْضًا يَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ الْيَقِينِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْـنِ عُمَـرَ رضي الله عنهمـا أَنَّ النَّـبِيَّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُـمَّ اقْسِـمْ لَنَـا مِـنْ خَشْـيَتِكَ مَـا تَحُـولُ بِـهِ بَيْنَنَـا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِـهِ جَنَّتَـكَ، وَمِـنَ الْيَقِـينِ مَـا تُهَـوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَهُـوَ مِـنْ عَلَامَـاتِ الزُّهْـدِ فِي الدُّنْيَـا وَقِلَّـةِ الرَّغْبَـةِ فِيهَا))[١٤٩] ، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ: ((مَـنْ زَهِـدَ الدُّنْيَـا، هَانَـتْ عَلَيْـهِ الْمُصِيبَاتُ)).

وَالثَّالِـثُ: أَنْ يَسْـتَوِيَ عِنْـدَ الْعَبْـدِ حَامِـدُهُ وَذَامُّـهُ فِي الْحَـقِّ، وَهَـذَا مِـنْ عَلَامَـاتِ الزُّهْـدِ فِي الدُّنْيَـا، وَاحْتِقَارِهَـا، وَقِلَّـةِ الرَّغْبَـةِ فِيهَـا، فَـإِنَّ مَـنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُ أَحَـبَّ الْمَـدْحَ وَكَـرِهَ الذَّمَّ، فَرُبَّمَـا حَمَلَـهُ ذَلِـكَ عَلَى تَـرْكِ كَثِيرٍ مِنَ الْحَـقِّ خَشْـيَةَ الذَّمِّ، وَعَلَى فِعْـلِ كَثِيرٍ مِـنَ الْبَاطِـلِ رَجَـاءَ الْمَـدْحِ، فَمَـنِ اسْـتَوَى عِنْـدَهُ حَامِـدُهُ وَذَامُّـهُ فِي الْحَـقِّ، دَلَّ عَلَى سُـقُوطِ مَنْزِلَـةِ

(١٤٩) رواه الترمذي (٣٥٠٢) ، وحسنه الإمام الألباني



الْمَخْلُوقِينَ مِنْ قَلْبِهِ، وَامْتِلَائِهِ مِنْ مَحَبَّةِ الْحَقِّ، وَمَا فِيهِ رِضَا مَوْلَاهُ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْيَقِينُ أَنْ لَا تُرْضِيَ النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

❖ من أقوال السلف :

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ عِبَارَاتٌ أُخَرُ فِي تَفْسِيرِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَكُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ، كَقَوْلِ الْحَسَنِ رحمه الله: ((الزَّاهِدُ الَّذِي إِذَا رَأَى أَحَدًا قَالَ: هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي))، وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الزَّاهِدَ حَقِيقَةً هُوَ الزَّاهِدُ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ وَتَعْظِيمِهَا، وَلِهَذَا يُقَالُ: الزُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَمَنْ أَخْرَجَ مِنْ قَلْبِهِ حُبَّ الرِّيَاسَةِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّرَفُّعَ فِيهَا عَلَى النَّاسِ، فَهُوَ الزَّاهِدُ حَقًّا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَسْتَوِي عِنْدَهُ حَامِدُهُ وَذَامُّهُ فِي الْحَقِّ

وَكَقَوْلِ وُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ رحمه الله: ((الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا، وَلَا تَفْرَحَ بِمَا آتَاكَ مِنْهَا))

قَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ رحمه الله: ((هَذَا هُوَ الزَّاهِدُ الْمُبْرِزُ فِي زُهْدِهِ)).

وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَنَّهُ يَسْتَوِي عِنْدَ الْعَبْدِ إِدْبَارُهَا وَإِقْبَالُهَا وَزِيَادَتُهَا وَنَقْصُهَا، وَهُوَ مِثْلُ اسْتِوَاءِ حَالِ الْمُصِيبَةِ وَعَدَمِهَا كَمَا سَبَقَ.

وَسُئِلَ الزُّهْرِيُّ رحمه الله عَنِ الزَّاهِدِ فَقَالَ: ((مَنْ لَمْ يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَهُ، وَلَمْ يَشْغَلِ الْحَلَالُ شُكْرَهُ))، وَهَذَا قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الزَّاهِدَ فِي الدُّنْيَا إِذَا قَدَرَ مِنْهَا عَلَى حَرَامٍ، صَبَرَ عَنْهُ، فَلَمْ يَأْخُذْهُ، وَإِذَا حَصَلَ لَهُ مِنْهَا حَلَالٌ، لَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ الشُّكْرِ، بَلْ قَامَ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ.





وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحُوَارَى: قُلْتُ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رحمه الله [١٥٠]: مَنِ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ((مَنْ إِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ))، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَحُبِسَ النِّعْمَةَ، كَيْفَ يَكُونُ زَاهِدًا؟ فَقَالَ:((اسْكُتْ، مَنْ لَمْ تَمْنَعْهُ النَّعْمَاءُ مِنَ الشُّكْرِ، وَلَا الْبَلْوَى مِنَ الصَّبْرِ، فَذَلِكَ الزَّاهِدُ)).

وَقَالَ رَبِيعَةُ رحمه الله : ((رَأْسُ الزَّهَادَةِ جَمْعُ الْأَشْيَاءِ بِحَقِّهَا، وَوَضْعُهَا فِي حَقِّهَا)).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رحمه الله: ((الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ، لَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ، وَلَا بِلُبْسِ الْعَبَاءِ)).

وَقَالَ: ((كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ: اللَّهُمَّ زَهِّدْنَا فِي الدُّنْيَا، وَوَسِّعْ عَلَيْنَا مِنْهَا، وَلَا تَزْوِهَا عَنَّا، فَتُرَغِّبْنَا فِيهَا)).

وَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله: ((الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا: قِصَرُ الْأَمَلِ))، وَقَالَ مَرَّةً: ((قِصَرُ الْأَمَلِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ)).

وَوَجْهُ هَذَا أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ يُوجِبُ مَحَبَّةَ لِقَاءِ اللَّهِ، بِالْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا، وَطُولَ الْأَمَلِ يَقْتَضِي مَحَبَّةَ الْبَقَاءِ فِيهَا، فَمَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ، فَقَدْ كَرِهَ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا نِهَايَةُ الزُّهْدِ فِيهَا، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَاسْتَدَلَّ ابْنُ عُيَيْنَةَ لِهَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ

(١٥٠) ((سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ بنِ أَبِي عِمْرَانَ مَيْمُوْنٍ الهِلاَلِيُّ مَوْلَى مُحَمَّدِ بنِ مُزَاحِمٍ، أَخِي الضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، حَافِظُ العَصْرِ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الهِلاَلِيُّ، الكُوْفِيُّ، ثُمَّ المَكِّيُّ))[سير أعلام النبلاء (٨\٤٥٤)].





خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) إِلَى قَوْلِهِ: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)) [الْبَقَرَةِ: ٩٤ - ٩٦] الْآيَةَ.

❖ أقسام الزهد(١٥١) :

قَسَّمَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ الزُّهْدَ أَقْسَامًا: فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَفْضَلُ الزُّهْدِ الزُّهْدُ فِي الشِّرْكِ، وَفِي عِبَادَةِ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ثُمَّ الزُّهْدُ فِي الْحَرَامِ كُلِّهِ مِنَ الْمَعَاصِي، ثُمَّ الزُّهْدُ فِي الْحَلَالِ، وَهُوَ أَقَلُّ أَقْسَامِ الزُّهْدِ، فَالْقِسْمَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْ هَذَا الزُّهْدِ، كِلَاهُمَا وَاجِبٌ، وَالثَّالِثُ: لَيْسَ بِوَاجِبٍ، فَإِنَّ أَعْظَمَ الْوَاجِبَاتِ الزُّهْدُ فِي الشِّرْكِ، ثُمَّ فِي الْمَعَاصِي كُلِّهَا.

وَكَانَ بَكْرٌ الْمُزَنِيُّ رحمه الله(١٥٢) يَدْعُو لِإِخْوَانِهِ: ((زَهَّدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ زُهْدَ مَنْ أَمْكَنَهُ الْحَرَامَ وَالذُّنُوبَ فِي الْخَلَوَاتِ، فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ فَتَرَكَهُ)).

---

(١٥١) قال ابن القيم رحمه الله : ((الزّهْد أَقسَام : زهد فِي الْحَرَام وَهُوَ فرض عين ، وزهد فِي الشُّبُهَات وَهُوَ بِحَسب مَرَاتِب الشُّبْهَة فَإِن قويت التحقت بِالْوَاجِبِ وَإِن ضعفت كَانَ مُسْتَحبا، وزهد فِي الفضول ، وزهد فِيمَا لَا يَعْنِي من الْكَلَام وَالنَّظَر وَالسُّؤَال واللقاء وَغَيره ، وزهد فِي النَّاس ، وزهد فِي النَّفس بِحَيْثُ تهون عَلَيْهِ نَفسه فِي الله ، وزهد جَامع لذَلِك كُله : وَهُوَ الزّهْد فِيمَا سوى الله وَفِي كل مَا شغلك عَنهُ ، وَأفضل الزّهْد إخفاء الزّهْد ، وأصعبه الزّهْد فِي الحظوظ، وَالْفرق بَينه وَبَين الْوَرع : أَن الزّهْد ترك مَالا ينفع فِي الْآخِرَة ، والورع : ترك مَا يخْشَى ضَرَره فِي الْآخِرَة ، وَالْقلب الْمُعَلق بالشهوات لَا يَصح لَهُ زهد وَلَا ورع ، قَالَ يحيى بن معَاذ : " عجبت من ثَلَاث رجل يرائي بِعَمَلِهِ مخلوقا مثله وَيتْرك أَن يعمله لله وَرجل يبخل بِمَالِه وربه يستقرضه مِنْهُ فَلَا يقْرضهُ مِنْهُ شَيْئا وَرجل يرغب فِي صُحْبَة المخلوقين ومودتهم وَالله يَدْعُوهُ إِلَى صحبته ومودته")) [الفوائد ص١١٨-١١٩]

(١٥٢) ((بَكْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو أَبُو عَبْدِ اللهِ المُزَنِيُّ ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الوَاعِظُ، الحُجَّةُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ المُزَنِيُّ، البَصْرِيُّ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ، يُذْكَرُ مَعَ الحَسَنِ، وَابْنِ سِيْرِيْنَ))[سير أعلام النبلاء (٥٣٢\٤)].



وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: قَالَ سَلَامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ رحمه الله: ((الزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ: وَاحِدٌ أَنْ يُخْلِصَ الْعَمَلَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْقَوْلَ، وَلَا يُرَادُ بِشَيْءٍ مِنْهُ الدُّنْيَا، وَالثَّانِي: تَرْكُ مَا لَا يَصْلُحُ، وَالْعَمَلُ بِمَا يَصْلُحُ، وَالثَّالِثُ: الْحَلَالُ أَنْ يَزْهَدَ فِيهِ وَهُوَ تَطَوُّعٌ، وَهُوَ أَدْنَاهَا)).

وَهَذَا قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ الدَّرَجَةَ الْأُولَى مِنَ الزُّهْدِ الزُّهْدَ فِي الرِّيَاءِ الْمُنَافِي لِلْإِخْلَاصِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَهُوَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، وَالْحَامِلُ عَلَيْهِ مَحَبَّةُ الْمَدْحِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّقَدُّمِ عِنْدَ أَهْلِهَا، وَهُوَ مِنْ نَوْعِ مَحَبَّةِ الْعُلُوِّ فِيهَا وَالرِّيَاسَةِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: ((الزُّهْدُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: فَزُهْدُ فَرْضٍ، وَزُهْدُ فَضْلٍ، وَزُهْدُ سَلَامَةٍ، فَالزُّهْدُ الْفَرْضُ: الزُّهْدُ فِي الْحَرَامِ، وَالزُّهْدُ الْفَضْلُ: الزُّهْدُ فِي الْحَلَالِ، وَالزُّهْدُ السَّلَامَةُ: الزُّهْدُ فِي الشُّبَهَاتِ)).

٩- القصد القصد(١٥٣):

❖ معنى القصد(١٥٤) :

قال صلى الله عليه وسلم: ((سدِّدوا وقاربوا))(١٥٥) المراد بالتسديد: العمل بالسِّداد، وهو القصد، والتوسط في العبادة فلا يقصِّر فيما أُمر به، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه.

قَالَ النضر بن شميل رحمه الله(١٥٦) : ((السداد القصد في الدين والسبيل)).

---

(١٥٣) مجموع الرسائل (٤١٢\٤) وما بعدها

(١٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ. وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي لفظ «والقصد القصد تبلغوا» .

قال العلامة السعدي رحمه الله : ((ما أعظم هذا الحديث، وأجمعه للخير والوصايا النافعة، والأصول الجامعة، فقد أسس صلى الله عليه وسلم في أوله هذا الأصل الكبير، فقال: «إن الدين يسر» أي ميسر مسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله، وفي أفعاله وتروكه، فإن عقائده التي ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره: هي العقائد الصحيحة التي تطمئن لها القلوب، وتوصل مقتديها إلى أجل غاية وأفضل مطلوب، وأخلاقه وأعماله أكمل الأخلاق، وأصلح الأعمال، بها صلاح الدين والدنيا والآخرة، وبفواتها يفوت الصلاح كله، وهي كلها ميسرة مسهلة، كل مكلف يرى نفسه قادرا عليها لا تشق عليه، ولا تكلفه، عقائده صحيحة بسيطة، تقبلها العقول السليمة، والفطر المستقيمة، وفرائضه أسهل شيء))[بهجة قلوب الأبرار (ص٧٧) ط : الرشد].

(١٥٥) رواه الترمذي (٢١٤١) ، وحسنه الإمام الألباني

(١٥٦) ((النَّضْرُ بنُ شُمَيْلِ بنِ خَرَشَةَ بنِ زَيْدٍ المَازِنِيُّ ، العَلاَّمَةُ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، أَبُو الحَسَنِ المَازِنِيُّ، البَصْرِيُّ، النَّحْوِيُّ، نَزِيْلُ مَرْوَ، وَعَالِمُهَا.وُلِدَ: فِي حُدُوْدِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ))[سير أعلام النبلاء (٣٢٨\٩)].



وكذلك المقاربة المرادُ بها التوسط بين التفريط والإفراط فهما كلمتان بمعنى واحدٍ أو متقارب.

وهو المراد بقوله في الرواية الأخرى: "وعليكم هديًا قاصدًا".

قوله: "وأبشروا" يعني أن من مشى ـ في طاعة الله عَلَى التسديد والمقاربة فليبشر، فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال.

❖ فضله :

فإن طريقَ الاقتصاد والمقاربة أفضلُ من غيرها، فمن سلكها فليبشر ـ بالوصول فإنَّ الاقتصادَ في سنة خيرٌ من الاجتهاد في غيرها، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، فمن سلك طريقه كان أقرب إِلَى الله من غيره.

وليست الفضائلُ بكثرة، الأعمال البدنية، لكن بكونها خالصةً لله عز وجل، صوابًا عَلَى متابعة السنة. وبكثرة معارف القلوب وأعمالها.

فمن كان بالله أعرف وبدينه وأحكامه وشرائعه، وله أخوف وأحبَّ وأرجى فهو أفضلُ ممن ليس كذلك، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح.

وإلى هذا المعنى الإشارة في حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبيّ صلّى الله عليه وسلم: ((سدِّدوا وقاربوا واعلموا أنّه لن يُدْخِل أحدًا منكم عملُه الجنةَ، وإن أَحبَّ الأعمال إِلَى الله أدومها وإنْ قل)) (١٥٧).

(١٥٧) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)





فأمر بالاقتصاد في العمل وأن يضم إِلَى ذلك العِلْم بأحبِّ الأعمال إِلَى الله، وبأن العمل وحده لا يدخل الجنة.

❖ من أقوال السلف الصالح :

ولهذا قَالَ بعض السَّلف: ((ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره)).

وقال بعضهم: ((الَّذِي كان في صدر أبي بكر رضي الله عنه المحبة لله ورسوله والنصيحة لعباده)).

وقال طائفة من العارفين: ((ما بلغ من بلغ بكثرة صيام ولا صلاةٍ ولكن بسخاوة الأنفس وسلامة الصدور والنصيحة للأمة)).

زاد بعضهم: ((وبذم نفوسهم)).

وقال آخر منهم: ((إِنَّمَا تفاوتوا بالإرادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلوات)).

وذُكر لأبي سليمان رحمه الله طولُ أعمار بني إسرائيل وضدة اجتهادهم في الأعمال، وأنَّ من الناس من غبطهم بذلك فَقَالَ: ((إِنَّمَا يريد الله منكم صدق النية فيما عنده)). أو كما قَالَ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: ((أنتم أكثر صومًا وصلاةً من أصحاب محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، وهم كانوا خيرًا منكم)).

قالوا: وبما ذاك؟

قَالَ: ((كانوا أزهد منكم في الدُّنْيَا وأرغب في الآخرة))[١٥٨]

---

(١٥٨) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٥٠١)، والحاكم في "مستدركه" (٤\٣٥٠) وقال: صحيح عَلَى شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في الشعب (٧\ ٣٧٤).





يُشـير إِلَى أن الصـحابة فـاقوا مـن بعـدهم بشـدة تعلـق قلـوبهم بـالآخرة ورغبـتهم فيهـا وإعراضـهم عـن الدُّنْيَـا بتحقيرهـا وتصـغيرها، وإن كانـت في أيديهم، فكانت قلوبُهُم منها فارغةً، وبالآخرة ممتلئةً.

وهذه الحال ورثوهـا مـن نبـيهم - صـلى الله عليـه وسـلم -، فإنَّـهُ كان أشـدَّ الخَلْقِ فراغًا بقلبه مـن الدُّنْيَـا، وتعلقًـا بـالله وبـالدار الآخـرة مـع ملابسـته للخلق بظاهره، وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا.

وكذلك خلفـاؤه الراشـدون بعـده، وكـذلك أعيـان التـابعين لهـم بإحسـان كالحسن وعمـر بـن عبـد العزيـز رحمـه الله، وقـد كان في زمـانهم مـن هـو أكـثر مـنهم صـومًا وصـلاةً، ولكـن لـم يصـل قلبُـهُ إِلَى مـا وصـلت إِلَيْـه قلوب هؤلاء من ارتحالها عن الدُّنْيَا وتوطُنها الآخرة.



١٠-الاستقامة :

❖ تعريفها :

هِيَ سُلُوكُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ مِنْ غَيْرِ تَعْرِيجٍ عَنْهُ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ فِعْلَ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَتَرْكَ الْمَنْهِيَّاتِ كُلِّهَا كَذَلِكَ.

وقال بعض أهل العلم : إِنَّ الْمُرَادَ الِاسْتِقَامَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ إِنَّمَا أَرَادَ التَّوْحِيدَ الْكَامِلَ الَّذِي يُحَرِّمُ صَاحِبَهُ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمَعْبُودُ الَّذِي يُطَاعُ، فَلَا يُعْصَى خَشْيَةً وَإِجْلَالًا وَمَهَابَةً وَمَحَبَّةً وَرَجَاءً وَتَوَكُّلًا وَدُعَاءً، وَالْمَعَاصِي كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ، لِأَنَّهَا إِجَابَةٌ لِدَاعِي الْهَوَى وَهُوَ الشَّيْطَانُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)) [الْجَاثِيَةِ: ٢٣]

قَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ: ((هُوَ الَّذِي لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ))، فَهَذَا يُنَافِي الِاسْتِقَامَةَ عَلَى التَّوْحِيدِ.

❖ فضلها :

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.





قَـوْلُ سُـفْيَانَ بْـنِ عَبْـدِ اللَّهِ لِلنَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: ((قُـلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْـأَلُ عَنْـهُ أَحَـدًا بَعْـدَكَ)) طَلَـبَ مِنْـهُ أَنْ يُعْلِمَـهُ كَلَامًـا جَامِعًا لِأَمْرِ الْإِسْلَامِ كَافِيًـا حَـتَّى لَا يَحْتَـاجَ بَعْـدَهُ إِلَى غَـيْرِهِ، فَقَـالَ لَهُ النَّـبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: ((قُـلْ آمَنْـتُ بِـاللَّهِ، ثُـمَّ اسْـتَقِمْ)) وَفِي الرِّوَايَـةِ الْأُخْرَى: ((قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُـمَّ اسْـتَقِمْ)) هَـذَا مُنْـتَزَعٌ مِـنْ قَـوْلِهِ عَـزَّ وَجَـلَّ: ((إِنَّ الَّذِيـنَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَـنَزَّلُ عَلَـيْهِمُ الْمَلَائِكَـةُ أَنْ لَا تَخَـافُوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَبْشِرُـوا بِالْجَنَّـةِ الَّـتِي كُنْـتُمْ تُوعَـدُونَ)) [فُصِّـلَتْ: ٣٠]، وَقَـوْلِهِ عَـزَّ وَجَـلَّ: ((إِنَّ الَّذِيـنَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا فَـلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ - أُولَئِـكَ أَصْحَابُ الْجَنَّـةِ خَـالِدِينَ فِيهَـا جَـزَاءً بِمَـا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الْأَحْقَافِ: ١٣ - ١٤].

❖ تعاهدها بالتوبة :

وَفِي قَـوْلِهِ عَـزَّ وَجَـلَّ: ((فَاسْـتَقِيمُوا إِلَيْـهِ وَاسْـتَغْفِرُوهُ)) [فصـلت: ٦] إِشَـارَةٌ إِلَى أَنَّـهُ لَابُـدَّ مِـنْ تَقْصِـيرٍ فِي الِاسْـتِقَامَةِ الْمَـأْمُورِ بِهَـا، فَيُجْـبَرُ ذَلِـكَ بِالِاسْـتِغْفَارِ الْمُقْتَضِي لِلتَّوْبَـةِ وَالرُّجُـوعِ إِلَى الِاسْـتِقَامَةِ، فَهُـوَ كَقَـوْلِ النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ لِمُعَـاذٍ رضي الله عنـه : «اتَّـقِ اللَّهَ حَيْثُمَـا كُنْـتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَـا». وَقَـدْ أَخْـبَرَ النَّـبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ أَنَّ النَّـاسَ لَـنْ يُطِيقُـوا الِاسْـتِقَامَةَ حَـقَّ الِاسْـتِقَامَةِ، كَمَـا خَرَّجَـهُ الْإِمَـامُ أَحْمَدُ[١٥٩]، وَابْنُ مَاجَـهْ[١٦٠] مِـنْ حَـدِيثِ ثَوْبَـانَ رضي الله عنـه ، عَـنِ النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «اسْـتَقِيمُوا وَلَـنْ تُحْصُـوا، وَاعْلَمُـوا أَنَّ خَـيْرَ

(١٥٩) برقم (٢٢٣٧٨)

(١٦٠) برقم (٢٧٧) وصححه الإمام الألباني



أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ» .

وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» .

فَالسَّدَادُ: هُوَ حَقِيقَةُ الِاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ الْإِصَابَةُ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَقَاصِدِ، كَالَّذِي يَرْمِي إِلَى غَرَضٍ، فَيُصِيبُهُ.

وَالْمُقَارَبَةُ: أَنْ يُصِيبَ مَا قَرُبَ مِنَ الْغَرَضِ إِذَا لَمْ يُصِبِ الْغَرَضَ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مُصَمِّمًا عَلَى قَصْدِ السَّدَادِ وَإِصَابَةِ الْغَرَضِ، فَتَكُونُ مُقَارَبَتُهُ عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْحَكَمِ بْنِ حُزْنٍ الْكُلَفِيِّ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَنْ تَعْمَلُوا - أَوْ لَنْ تُطِيقُوا - كُلَّ مَا أَمَرْتُكُمْ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا» وَالْمَعْنَى: اقْصِدُوا التَّسْدِيدَ وَالْإِصَابَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ، فَإِنَّهُمْ لَوْ سَدَّدُوا فِي الْعَمَلِ كُلِّهِ، لَكَانُوا قَدْ فَعَلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ كُلِّهِ.

فَأَصْلُ الِاسْتِقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا فَسَّرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَغَيْرُهُ قَوْلَهُ: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)) [الْأَحْقَافِ: ١٣] بِأَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى غَيْرِهِ، فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ، اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا عَلَى طَاعَتِهِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جُنُودُهُ، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ، اسْتَقَامَتْ جُنُودُهُ وَرَعَايَاهُ، وَكَذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)) [الرُّومِ: ٣٠] بِإِخْلَاصِ الْقَصْدِ لِلَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

❖ تنزيه اللسان من علامات الاستقامة :

وَأَعْظَمُ مَا يُرَاعَى اسْتِقَامَتُهُ بَعْدَ الْقَلْبِ مِنَ الْجَوَارِحِ اللِّسَانُ، فَإِنَّهُ تُرْجُمَانُ الْقَلْبِ وَالْمُعَبِّرُ عَنْهُ، وَلِهَذَا لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِاسْتِقَامَةِ، وَصَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِفْظِ لِسَانِهِ، وَفِي " مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ [١٦١]عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ)) وَفِي التِّرْمِذِيِّ [١٦٢]عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا: " ((إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا))

---

(١٦١) برقم (١٣٠٤٨) ، وحسنه الإمام الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٥٤)

(١٦٢) برقم (٢٤٠٧) ، وحسنه الإمام الألباني



١١- الحذر من الجدل(١٦٣) :

❖ الجدل من الأمور الحادثة :

ومما أنكره أئمة السَّلف، الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم، حتى شغلهم عن العِلْم النافع.

وقد أنكر ذلك السَّلف وورد الحديث المرفوع في السنن «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى، إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ. ثُمَّ قَرَأَ ((مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)) [الزخرف: ٥٨]»(١٦٤).

وقال بعض السَّلف: ((إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًا أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل)).

وقال مالك رحمه الله : ((أدركت هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الَّذِي فيه الناس اليوم -يريد المسائل)).

(١٦٣) مجموع الرسائل (١٩|٣) وما بعدها بتصرف يسير

(١٦٤) رواه ابن ماجه (٤٨) ، وقال الإمام الألباني : ((حسن صحيح))





وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول: ((يتكلم أحدهم كأنه جمل مغتلم، يقول: هو كذا هو كذا، يهدر في كلامه)).

وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول: قال الله عز وجل: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)) [الإسراء: ٨٥] فلم يأته في ذلك جواب وقِيلَ لَهُ: الرجل يكون عالمًا بالسنن يجادل عنها؟ قال:((لا ولكن يخبر بالسُّنَّة، فإن قبل منه وإلا سكت)).

وقال: ((المراء والجدال في العِلْم يذهب بنور العِلْم)).

وقال: ((المراء في العِلْم يقسي القلب ويورث الطعن))، وكان يقول في المسائل التي يسأل عنها كثيرًا: لا أدري. وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك.

وقد ورد النهي عن كثرة المسائل وعن أغلوطات المسائل، وعن المسائل قبل وقوع الحوادث، وفي ذلك ما يطول ذكره.





❖ ترك السلف للجدل(١٦٥) :

فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزًا، ولكن سكتوا عن علم وخشية لله.

وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم باختصاصه بعلم دونهم، ولكن حبّا للكلام وقلة ورع.

(١٦٥) قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله : ((وَمَا برح من أدركنا من أهل الْفضل وَالْفِقْه من خِيَار أولية النَّاس يعيبون أهل الجدل والتنقيب، ويعيبون الْأَخْذ بِالرَّأْيِ أَشد الْعَيْب وَينْهَوْنَ عَن لقائهم ومجالستهم ويحذرونا مقاربتهم أَشد التحذير، وَيُخْبِرُونَا أَنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وَسنَن رَسُوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَا توفى رَسُول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى كره الْمسَائِل والتنقيب والبحث عَنِ الْأُمُور وزجر عَن ذَلِك وحذر الْمُسلمين فِي غير موطن حَتَّى كَانَ من قَوْله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (فِي) كَرَاهِيَة ذَلِك أَن قَالَ: ((ذروني مَا تركتكم فإنما هلك الَّذِي من قبلكُمْ بسؤالهم وَاخْتِلَافهمْ عَلَى أَنْبِيَائهمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْء فَاجْتَنبُوهُ، وإِذَا أَمرتكُم بِشَيْء فَأتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم)) فَأَي أَمر أكف لمن يعقل عَنِ التنقيب من هَذَا، وَلم يبلغ النَّاس يَوْم قيل لَهُم هَذَا القَوْل من الْكَشْف عَنِ الْأُمُور جُزْءا من مائَة جُزْء مِمَّا بلغُوا الْيَوْم، وَهل هلك أهل الْأَهْوَاء وخالفوا الْحق إِلا بأخذهم بالجدل، والتفكير فِي دينهم فهم كل يَوْم عَلَى دين ضلال وَشبهه جَدِيدَة، لَا يُقِيمُونَ عَلَى دين وَإِن أعجبهم، إِلا نقلهم الجدل والتفكير إِلَى دين سواهُ، وَلَو لزموا السّنَن وَأمر الْمُسلمين = = وَتركُوا الجدل لقطعوا عَنْهُم الشَّك، وَأخذُوا بِالْأَمر الَّذِي حضهم عَلَيْهِ رَسُول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ورضيه لَهُم، وَلَكنهُم تكلفوا مَا قد كفوا مؤنتة، وحملوا عَلَى عُقُولهمْ من النّظر فِي أَمر اللَّه مَا قصرت عَنهُ عُقُولهمْ، وَحق لَهَا أَن تقصر عَنهُ وتحسر دونه، فهنالك تورطوا. وَأَيْنَ مَا أعْطى اللَّه الْعباد من الْعلم فِي قلته وزهادته مِمَّا لم ينالوا؟ قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعلم إِلَّا قَلِيلا))))[الحجة في بيان المحجة (١\٣٠٧- ٣٠٨) ، ط : دار الراية ، ت : محمد ربيع المدخلي].





كما قال الحسن رحمه الله وسمع قومًا يتجادلون: ((هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول، وقل ورعهم فتكلموا)).

وقال مهدي بن ميمون: سمعت محمد بن سيرين رحمه الله[١٦٦] وما رآه رجل ففطن له، فَقَالَ: ((إني أعلم ما يريد، إني لو أردت أن أماريك كنت عالماً بأبواب المراء)).

وفي رواية قال: ((أنا أعلم بالمراء منك ولكني لا أماريك)).

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله : ((ما خاصمت قط))

وقال عبد الكريم الجزري رحمه الله: ((ما خاصم ورع قط)).

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: ((إياكم والخصومات في الدين؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق)).

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: ((إذا سمعت المراء فأقصر)).

وقال : ((من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل)).

وقال: ((إن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ قد كفوًا، وكانوا هم أقوى عَلَى البحث لو بحثوا))، وكلام السَّلف في هذا المعنى كثير جدًّا.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض. وانظر إِلَى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه.

---

(١٦٦) ((الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو بَكْرٍ الأَنْصَارِيُّ، الأَنَسِيُّ، البَصْرِيُّ، مَوْلَى أَنَسِ بنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-))[سير أعلام النبلاء (٤|٦٠٦)].





وكـذلك كلام التـابعين أكـثر مـن كلام الصـحابة، والصـحابة أعلـم مـنهم. وكذلك تابعوا التابعين كلامهـم أكـثر مـن كلام التـابعين، والتـابعون أعلـم مـنهم. فلـيس العِلْـم بكـثرة الروايـة ولا بكـثرة المقـال، ولكنـه نـور يقـذف في القلـب يَفْهَـم بـه العبـدُ الحق، ويمـيز بـه بينـه وبـين الباطـل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقـد كان النـبي صـلّى الله عليـه وسـلم أوتي جوامـع الكلـم واختصر لـه الكلام اختصارًا.

❖ الحذر من التوسع في الكلام :

ولهذا ورد النـهي عـن كـثرة الـكلام والتوسـع في القيـل والقـال ، وقـد قـال لنـبي - صـلى الله عليـه وسـلم -: ((إِنَّ اللهَ لَـمْ يَبْعَـثْ نِبِيّـاً إلاَّ مبلغًـا، وإِنَّ تَشْقِيقُ الْكَلَامِ مِـنَ الشَّـيْطَانِ)) [١٦٧] يعـني أن النـبي صـلّى الله عليـه وسـلم إِنَّمَا يتكلم بما يحصل بـه البـلاغ، وأمـا كـثرة القـول وتشـقيق الـكلام فإنَّـه مـذموم، وكانـت خطـب النـبي - صـلى الله عليـه وسـلم - قصـدًا ، وكان يحدث حـديثًا لـو عـده العـاد لأحصـاه ، وقـال: ((إن مـن البيـان سـحرًا)) [١٦٨] وإنَّمـا قـاله في ذم ذلـك لا مـدحًا له، كمـا ظـن ذلـك مـن ظنـه، ومـن تأمل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك.

وفي الترمـذي [١٦٩] وغـيره [١٧٠] عـن عبـد الله بـن عمـرو رضي الله عنهمـا مرفـوعًا: «إِنَّ اللَّهَ لَيُـبْغِضُ الْبَلِيـغَ مِـنَ الرِّجَـالِ، الَّذِي يَتَخَلَّـلُ بِلِسَـانِهِ كَمَـا

(١٦٧) أخرجه عبد الرزاق (١١| ١٦٣، ١٦٤) من مرسل مجاهد.

(١٦٨) أخرجه البخاري (٥١٤٦).

(١٦٩) برقم (٢٨٥٣) ، وصححه الإمام الألباني





يَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا» وفي المعنى أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة عَلَى عمر وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم من الصحابة.

فيجب أن يعتقد أنَّه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العِلْم، كان ممن ليس كذلك.

وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنَّه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنَّه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم؛ لكثرة بيانه ومقاله، ومنهم من يقول: هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين، وهذا يلزم منه ما قبله؛ لأنّ هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولا ممن كان قبلهم، فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولاً بطريق الأولى، كالثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم، وممن قبلهم من التابعين والصحابة

أيضاً؛ فإن هؤلاء كلهم أقل كلامًا ممن جاء بعدهم.

وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح، وإساءة ظن بهم، ونسبته لهم إِلَى الجهل وقصور العِلْم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه في قوله في الصحابة: ((إنهم أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علومًا، وأقلها تكلفًا)) ورُوي نحوه عن ابن عمر [١٧١] أيضاً.

وفي هذا إشارة إِلَى أن من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا، وقال ابن مسعود أيضاً: ((إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وسيأتي

---

(١٧٠) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧)، وأبو داود (٥٠٠٥).

(١٧١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).





بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه)) [١٧٢] فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم.

وقد شهد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل اليمن بالإيمان والفقه [١٧٣]، وأهل اليمن أقل الناس كلامًا وتوسعًا في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إِلَيْهِ من ذلك، وهذا هو الفقه والعلم النافع.

(١٧٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩)، والطبراني (٩/ ٨٥٦٧).

(١٧٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).





١٢- الاشتغال بالعلم النافع :

❖ العناية بالتفسير والحديث والفقه وآثار السلف الصالح :

أفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إِلَى أن ينتهي إِلَى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم، الذين سميناهم فيما سبق.
فضبط ما رُوي عنهم في ذلك أفضل العِلْم مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه، وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه، إلا أن يكون شرحًا لكلام يتعلق من كلامهم.
وأما ما كان مخالفًا لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه، وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يُسلِّم به.

❖ الحرص على كلام السلف وعلم الجرح والتعديل والعلل :

فمن لم يأخذ العِلْم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم، ويحتاج من أراد جمع كلامهم إِلَى معرفة صحيحه من سقيمه، وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل، فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه بباطله، ولا يثق بما عنده من ذلك.





كما يرى من قل علمه بذلك لا يثق بما يروى عن النبي صلّى الله عليه وسلم عن السَّلف لجهله بصحيحه من سقيمه، فهو لجهله يجوز أن يكون كله باطلا لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه.

قال الأوزاعي رحمه الله (١٧٤): ((العِلْم ما جاء به أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فما كان غير ذلك فليس بعلم)).

وكذا قال الإمام أحمد، وقال في التابعين: ((أنت مخير -يعني: مخير في كتابته وتركه)).

وقد كان الزهري يكتب ذلك، وخالفه صالح بن كيسان ثم ندم عَلَى تركه كلام التابعين.

❖ الحذر من الأمور التي حدثت بعد زمن أئمة السلف :

وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السَّلف المقتدى بهم إِلَى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان عَلَى حذر مما حدث بعدهم، فإنَّه حدث بعدهم حوادث كثيرة، وحدث من انتسب إِلَى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الأمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله.

---

(١٧٤) ((الأَوْزَاعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرِو بنِ يُحْمَدَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، وَعَالِمُ أَهْلِ الشَّامِ، أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ)) [سير أعلام النبلاء (٧\١٠٧)].



❖ الحذر من علم الكلام :

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشرٌ محض، وقلَّ من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال أحمد: ((لا يخلو من نظر في الكلام إلا تجهم)). وكان هو وغيره من أئمة السَّلف يُحذِّرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السُّنَّة.

وأما ما يوجد في كلام من أَحَبّ الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته إِلَى الجهل أو إِلَى الحشو، وإلى أنَّه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه، فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه.

❖ الحذر من شطحات بعض المتصوفة :

ومما أُحدث من العلوم والكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك، بمجرد الرأي والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم، وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره.

وكان أبو سليمان رحمه الله يقول: ((إنه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسُّنَّة)).

وقال الجنيد رحمه الله: ((عِلْمُنا هذا مقيد بالكتاب والسنَّة، من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا)).

وقد اتسع الخرق في هذا الباب، ودخل فيه قوم إِلَى أنواع الزندقة والنفاق، ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء، أو أنهم مستغنون عنهم، وإلى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع، وإِلَى دعوى



الحلول والاتحاد أو القول بوحـدة الوجـود، وغـير ذلـك مـن أصـول الكفـر والفوق والعصيان، كدعوى الإباحة، وحل محظورات الشرائع.

وأدخلـوا في هـذا الطريـق أشـياء كثـيرة ليسـت مـن الديـن في شيء، فبعضها زعموا أنَّه يحصـل بـه ترقيـق القلـوب كالغنـاء والـرقص، وبعضـها زعمـوا أنَّـه يـراد لرياضـة النفـوس، كعشـق الصـور المحرمـة ونظرهـا، وبعضها زعموا أنَّه لكسر النفـوس والتواضـع، كشـهوة اللبـاس وغـير ذلـك مما لم تأت به الشريعة، وبعضـه يصـد عـن ذكـر الله وعـن الصـلاة كالغنـاء والنظر المحرم، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا.

١٣- التوكل على الله [١٧٥] :

❖ فضله :

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا)) رواه الترمذي [١٧٦]

هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي التَّوَكُّلِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُسْتَجْلَبُ بِهَا الرِّزْقُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا - وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)) [الطَّلَاقِ: ٢ - ٣]

---

(١٧٥) جامع العلوم والحكم (٢|٥٠٣) تلخيصاً

(١٧٦) (٢٣٤٤) ، وصححه الإمام الألباني





❖ حقيقته[١٧٧] :

هُـوَ صِـدْقُ اعْتِمَـادِ الْقَلْـبِ عَلَى اللَّهِ عَـزَّ وَجَـلَّ فِي اسْـتِجْلَابِ الْمَصَـالِحِ، وَدَفْـعِ الْمَضَـارِّ مِـنْ أُمُـورِ الدُّنْيَـا وَالْآخِـرَةِ كُلِّهَـا، وَكِلَـةُ الْأُمُـورِ كُلِّهَـا إِلَيْـهِ، وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ سِوَاهُ.

❖ من أقوال السلف فيه :

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رحمه الله : ((التَّوَكُّلُ جِمَاعُ الْإِيمَانِ)).

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ رحمه الله: ((الْغَايَةُ الْقُصْوَى التَّوَكُّلُ)).

قَـالَ الْحَسَـنُ رحمـه الله: ((إِنَّ تَـوَكُّلَ الْعَبْـدِ عَلَى رَبِّـهِ أَنْ يَعْلَـمَ أَنَّ اللَّهَ هُـوَ ثِقَتُهُ)).

---

(١٧٧) قال ابن حبان رحمه الله : ((الواجب على العاقل : لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان وقرين التوحيد ، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يكله الله إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب

وأنشدني منصور بْن مُحَمَّد الكريزي :

توكل على الرحمن في كل حاجة ... أردت فإن الله يقضي ويقدر

متى مَا يرد ذو العرش أمرا بعبده ... يصبه وما للعبد مَا يتخير

وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بإذن الله من حيث يحذر ....)) [روضة العقلاء (ص١٥٣-١٥٤)]





❖ التوكل لا ينافي الأخذ بالاسباب :

وَاعْلَـمْ أَنَّ تَحْقِيـقَ التَّـوَكُّلِ لَا يُنَـافِي السَّـعْيَ فِي الْأَسْـبَابِ الَّـتِي قَـدَّرَ اللَّهُ سُـبْحَانَهُ الْمَقْـدُورَاتِ بِهَـا، وَجَـرَتْ سُـنَّتُهُ فِي خَلْقِـهِ بِـذَلِكَ، فَـإِنَّ اللَّهَ تَعَـالَى أَمَـرَ بِتَعَـاطِي الْأَسْـبَابِ مَـعَ أَمْـرِهِ بِـالتَّوَكُّلِ، فَالسَّـعْيُ فِي الْأَسْـبَابِ بِـالْجَوَارِحِ طَاعَةٌ لَهُ، وَالتَّوَكُّلُ بِالْقَلْبِ عَلَيْهِ إِيمَـانٌ بِـهِ، كَمَـا قَـالَ اللَّهُ تَعَـالَى: ((يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا خُـذُوا حِـذْرَكُمْ)) [النِّسَـاءِ: ٧١] ، وَقَـالَ تَعَـالَى: ((وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ)) [الْأَنْفَـالِ: ٦٠] ، وَقَـالَ: ((فَـإِذَا قُضِـيَتِ الصَّـلَاةُ فَانْتَشِرُـوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُـوا مِـنْ فَضْـلِ اللَّهِ)) [الْجُمُعَـةِ: ١٠] .

وَقَالَ سَهْلٌ التُّسْـتَرِيُّ: ((مَـنْ طَعَـنَ فِي الْحَرَكَـةِ - يَعْـنِي فِي السَّـعْيِ وَالْكَسْـبِ - فَقَـدْ طَعَـنَ فِي السُّـنَّةِ، وَمَـنْ طَعَـنَ فِي التَّـوَكُّلِ، فَقَـدْ طَعَـنَ فِي الْإِيمَـانِ، فَـالتَّوَكُّلُ حَـالُ النَّـبِيِّ - صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -، وَالْكَسْـبُ سُـنَّتُهُ، فَمَـنْ عَمِلَ عَلَى حَالِهِ، فَلَا يَتْرُكَنَّ سُنَّتَهُ)).





١٤- اترك ما لا يعنيك[١٧٨] :

❖ فضل من ترك ما لا يعنيه :

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، عَـنِ النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» رواه الترمذي[١٧٩]

هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُـولِ الْأَدَبِ، وَقَـدْ حَـكَى الْإِمَـامُ أَبُـو عَمْـرٍو بْنُ الصَّلَاحِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْـدٍ إِمَـامِ الْمَالِكِيَّـةِ فِي زَمَانِـهِ أَنَّـهُ قَـالَ: جِمَاعُ آدَابِ الْخَـيْرِ وَأَزِمَّتُـهُ تَتَفَـرَّعُ مِـنْ أَرْبَعَـةِ أَحَادِيـثَ: قَـوْلِ النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ «مَـنْ كَانَ يُـؤْمِنُ بِـاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ فَلْيَقُـلْ خَـيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «مِـنْ حُسْـنِ إِسْـلَامِ الْمَـرْءِ تَرْكُـهُ مَـا لَا يَعْنِيـهِ» وَقَـوْلِهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ لِـلَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِـيَّةِ: «لَا تَغْضَـبْ» وَقَـوْلِهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «الْمُـؤْمِنُ يُحِـبُّ لِأَخِيـهِ مَـا يُحِـبُّ لِنَفْسِهِ» .

❖ معنى ترك المرء ما لا يعنيه :

وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مِـنْ حُسْـنِ إِسْـلَامِهِ تَرْكُـهُ مَـا لَا يَعْنِيـهِ مِـنْ قَـوْلٍ وَفِعْلٍ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَـا يَعْنِيـهِ مِـنَ الْأَقْـوَالِ وَالْأَفْعَـالِ؛ وَمَعْـنَى يَعْنِيـهِ: أَنَّـهُ تَتَعَلَّـقُ عِنَايَتُـهُ بِـهِ، وَيَكُـونُ مِـنْ مَقْصِـدِهِ وَمَطْلُوبِـهِ، وَالْعِنَايَـةُ: شِـدَّةُ الِاهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَـالُ عَنَـاهُ يَعْنِيـهِ: إِذَا اهْـتَمَّ بِـهِ وَطَلَبَـهُ، وَلَـيْسَ الْمُـرَادُ

(١٧٨) جامع العلوم والحكم (١|٢٨٧) وما بعدها تلخيصاً

(١٧٩) برقم (٢٣١٧) ، وصححه الإمام الألباني



أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ، بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي شَرْحِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ الْمَمْدُوحَ يَدْخُلُ فِيهِ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» وَإِذَا حَسُنَ الْإِسْلَامُ، اقْتَضَى تَرْكَ مَا لَا يَعْنِي كُلَّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا يَعْنِي الْمُسْلِمَ إِذَا كَمُلَ إِسْلَامُهُ، وَبَلَغَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ بِقَلْبِهِ، أَوْ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللَّهِ مِنْهُ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتْرُكَ كُلَّ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيَشْتَغِلَ بِمَا يَعْنِيهِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ الِاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ وَتَرْكُ كُلِّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ كَمَا وَصَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِهِ لَا يُفَارِقُهُ.



❖ من كلام السلف الصالح :

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ((مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مَنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ. وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعُدُّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، فَيُجَازِفُ فِيهِ، وَلَا يَتَحَرَّى))

دَخَلُوا عَلَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي مَرَضِهِ وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ، فَسَأَلُوهُ، عَنْ سَبَبِ تَهَلُّلِ وَجْهِهِ، فَقَالَ مَا مِنْ عَمَلٍ أَوْثَقُ عِنْدِي مِنْ خَصْلَتَيْنِ: ((كُنْتُ لَا أَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِينِي، وَكَانَ قَلْبِي سَلِيمًا لِلْمُسْلِمِينَ)).

وَقَالَ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ رحمه الله: ((أَمْرٌ أَنَا فِي طَلَبِهِ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَسْتُ بِتَارِكٍ طَلَبِهِ أَبَدًا))، قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: ((الْكَفُّ عَمَّا لَا يَعْنِينِي))

. وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ عَنِ الْحَسَنِ رحمه الله قَالَ: ((مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى، عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ)).

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رحمه الله: ((مَنْ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، حُرِمَ الصِّدْقَ)).

وَقَالَ مَعْرُوفٌ رحمه الله: ((كَلَامُ الْعَبْدِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ خِذْلَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)).



١٥- الحرص على محبة الله[١٨٠] :

❖ من الأسباب الجالبة لمحبة الله :

١- معاملة الله بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى، فإن ذلك سبب لفضل الله عَلَى عبده وأن يمنحه محبته.

قال بشر الحافي: قال فتح الموصلي رحمه الله: ((من أدام النظر بقلبه ورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره عَلَى هواه، ورثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إِلَيْهِ وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب، ورثه ذلك النظر إِلَى وجهه الكريم)).

وسئل المرتعش: بم تنال المحبة؟ قال: ((بموالاة أولياء الله -عز وجل- ومعاداة أعدائه وأصله الموافقة)).

٢- ومن أعظم ما تستجلب به المحبة: كثرة الذكر مع الحضور.

(١٨٠) قال ابن القيم رحمه الله : ((وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِهَا(أي : المحبة) الْمَحْمُودَةِ: مَحَبَّةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ أَصْلُ السَّعَادَةِ وَرَأْسُهَا الَّتِي لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا بِهَا، وَالْمَحَبَّةُ الْمَذْمُومَةُ الشِّرْكِيَّةُ هِيَ أَصْلُ الشَّقَاوَةِ وَرَأْسُهَا الَّتِي لَا يَبْقَى فِي الْعَذَابِ إِلَّا أَهْلُهَا، فَأَهْلُ الْمَحَبَّةِ الَّذِينَ أَحَبُّوا اللَّهَ وَعَبَدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ، وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْهُمْ بِذُنُوبِهِ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِيهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ.
وَمَدَارُ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَمْرِ بِتِلْكَ الْمَحَبَّةِ وَلَوَازِمِهَا، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمَحَبَّةِ الْأُخْرَى وَلَوَازِمِهَا، وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ وَالْمَقَايِيسَ لِلنَّوْعَيْنِ، وَذِكْرَ قَصَصَ النَّوْعَيْنِ، وَتَفْصِيلَ أَعْمَالِ النَّوْعَيْنِ وَأَوْلِيَائِهِمْ وَمَعْبُودَ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَإِخْبَارِهِ عَنْ فِعْلِهِ بِالنَّوْعَيْنِ، وَعَنْ حَالِ النَّوْعَيْنِ فِي الدُّورِ الثَّلَاثَةِ: دَارِ الدُّنْيَا، وَدَارِ الْبَرْزَخِ، وَدَارِ الْقَرَارِ، وَالْقُرْآنُ جَاءَ فِي شَأْنِ النَّوْعَيْنِ.
وَأَصْلُ دَعْوَةِ جَمِيعِ الرُّسُلِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ إِنَّمَا هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمُتَضَمِّنَةُ لِكَمَالِ حُبِّهِ، وَكَمَالِ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ لَهُ، وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلَوَازِمِ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى))[الداء والدواء (ص١٩٩) ، ط : دار المعرفة - المغرب].





وقال ذو النون رحمه الله: ((من شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه الاشتياق إِلَيْهِ)).

وقال إبراهيم بن الجنيد رحمه الله: ((كان يقال: من علامة المحبة لله: دوام الذكر

بالقلب واللسان، وقل ما ولع المرء بذكر الله -عز وجل- إلا أفاد منه حب الله- جل جلاله)).

٣- ومما يستجلب به المحبة تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ولا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله ومحبة الله له.

وفي الصحيحين [١٨١] عن أنس رضي الله عنه : ((أن رجلاً كان يصلي بهم ويختم قراءته ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) فأمر النبي صلّى الله عليه وسلم أن يسأل عن ذلك، فَقَالَ إنها صفة الرحمن وأنا أَحَبّ أن أقرأها؟ فَقَالَ -صلى الله عليه وسلم -: ((أخبروه أن الله يحبه)).

٤- ومن أسباب المحبة نذكر ما ورد في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد، فإن ذلك تستجلب به المحبة الخالصة.

---

(١٨١) أورده البخاري (٧٧٤) تعليقًا من حديث أنس.

والذي في الصحيحين: رواية عائشة عند البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).





❖ علامات المحبة :

التزام طاعة الله -تعالى- والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله. قال الله -جل وعلا-: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [المائدة: ٥٤].

قال تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران: ٣١].

فوصف الله -سبحانه- المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلة عَلَى المؤمنين، والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين، كما قال تعالى لرسوله: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) [الشعراء: ٢١٥] ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)) [الفتح: ٢٩] وهذا يرجع إِلَى أن المحبين لله يحبون أحباءه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة، وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك.

الثاني: من التزام طاعة الله -تعالى- والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله. قال الله -جل وعلا-: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [المائدة: ٥٤].



قال تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران: ٣١].

فوصف الله -سبحانه- المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها:

الذلة عَلَى المؤمنين، والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين، كما قال تعالى لرسوله: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))[الشعراء: ٢١٥] ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)) [الفتح: ٢٩] وهذا يرجع إِلَى أن المحبين لله يحبون أحباءه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة، وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك.

الثاني:

العزة عَلَى الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم، كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)) [التحريم: ٩].

وهذا يرجع إِلَى أن المحبين له يبغضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة

العزة عَلَى الكافرين، والمراد الشدة والغلظة عليهم، كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)) [التحريم: ٩].

وهذا يرجع إِلَى أن المحبين له يبغضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبًّا لذكرك فليلمني اللوم

الخامس:متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو طاعته واتباعه في أمره ونهيه.



قال مبارك بن فضالة عن الحسن رحمه الله : ((كان ناس عَلَى عهد النبي صلّى الله عليه وسلم يَقُولُونَ: يا رسول الله، إنا نحب ربنا حبًّا شديدًا. فأحب الله أن يجعل لحبه علمًا، فأنزل الله -تبارك وتعالى-: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران: ٣١])).
وقد قرن الله بين محبة رسوله في قوله تعالى: ((أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)) [التوبة: ٢٤] وكذلك ورد في السنة في أحاديث كثيرة جدًّا سبق ذكر بعضها، والمراد أن الله تعالى لا توصل إِلَيْهِ إلا من طريق رسوله - صلى الله عليه وسلم - باتباعه وطاعته.

كما قال الجنيد رحمه الله وغيره من العارفين: ((الطرق إِلَى الله مسدودة إلا من اقتفى أثر الرسول - صلى الله عليه وسلم -)).
وكلام أئمة العارفين في هذا الباب كثير جداً.
قال إبراهيم بن الجنيد رحمه الله: ((يقال علامة المحب عَلَى صدق الحب ست خصال:
أحدها: دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه.
والثانية: إيثاره محبة سيده عَلَى محبة نفسه ومحبة الخلائق، يبدأ بمحبة مولاه قبل محبة نفسه ومحبة الخلائق.
والثالثة: الأنس به، والاستثقال لكل قاطع يقطع عنه أو شاغل يشغله عنه.
والرابعة: الشوق إِلَى لقائه والنظر إِلَى وجهه.





الخامسة: الرضا عنه في كل شديدة وضر ينزل به.
والسادسة: اتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم -)).

❖ محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

ومحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - عَلَى درجتين:
إحداهما فرض:
وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهي عنه من المحرمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة.
فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه.
والدرجة الثانية فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره، وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتوقيره ومحبة استماع كلامه، وإيثاره عَلَى كلام غيره من المخلوقين.
ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدُّنْيَا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة.



قال سهل التستري: ((من علامات حب الله: حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي صلّى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلّى الله عليه وسلم: حب السنة، وعلامة حب السنة: حب الآخرة، ومن علامة حب الآخرة: بغض الدُّنْيَا، وعلامة بغض الدُّنْيَا أن لا يأخذ منها إلا زادًا يبلغه إِلَى الآخرة)).



١٦- النصــيحة لله ولكتابــه ولرســوله ولأئمــة المســلمين وعامتهم[١٨٢]:

❖ فضلها :

عَـنْ تَمِـيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ أَنَّ النَّـبِيَّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «الدِّيــنُ النَّصِــيحَةُ ثَلَاثًــا قُلْنَــا: لِمَــنْ يَــا رَسُــولَ اللَّهِ؟ قَــالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِــهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَـالَ الْحَـافِظُ أَبُـو نُعَـيْمٍ: هَـذَا الْحَـدِيثُ لَهُ شَـأْنٌ، ذَكَـرَ مُحَمَّـدُ بْـنُ أَسْـلَمَ الطُّـوسِيُّ أَنَّـهُ أَحَـدُ أَرْبَـاعِ الدِّيـنِ. وَقَـدْ وَرَدَ فِي أَحَادِيـثَ كَثِـيرَةٍ النُّصْـحُ لِلْمُسْلِمِينَ عُمُومًـا، وَفِي بَعْضِـهَا النُّصْحُ لِوُلَاةِ أُمُـورِهِمْ، وَفِي بَعْضِـهَا: نُصْـحُ وُلَاةِ الْأُمُورِ لِرَعَايَاهُمْ.

فَأَمَّـا الْأَوَّلُ - وَهُـوَ النُّصْـحُ لِلْمُسْـلِمِينَ - عُمُومًـا، فَـفِي " الصَّـحِيحَيْنِ "[١٨٣] عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنـه قَـالَ: بَايَعْـتُ النَّـبِيَّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَــلَّمَ عَلَى إِقَـامِ الصَّـلَاةِ، وَإِيتَـاءِ الـزَّكَاةِ، وَالنُّصْـحِ لِـكُلِّ مُسْـلِمٍ» . وَفِي " صَحِيحِ مُسْـلِمٍ "[١٨٤] عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنـه ، عَـنِ النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «حَـقُّ الْمُـؤْمِنِ عَلَى الْمُـؤْمِنِ سِـتٌّ فَـذَكَرَ مِنْهَـا: وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ» .

وَأَمَّا الثَّانِي: وَهُوَ النُّصْحُ لِـوُلَاةِ الْأُمُـورِ، وَنُصْـحُهُمْ لِرَعَايَـاهُمْ، فَـفِي " صَـحِيحِ مُسْـلِمٍ "[١٨٥] عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنـه، عَـنِ النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ

(١٨٢) جامع العلوم والحكم (١/٢٢٤) وما بعدهاً بتصرف

(١٨٣) البخاري (٥٧) ، مسلم (٩٧)

(١٨٤) (٢١٦٢)

(١٨٥) برقم (١٧١٥)



وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ».

وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ "[١٨٦] عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً ثُمَّ لَمْ يَحُطُّهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ نَصَحُوا لِأُمَمِهِمْ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نُوحٍ، وَعَنْ صَالِحٍ وَقَالَ: ((لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)) [التَّوْبَةِ: ٩١] يَعْنِي: أَنَّ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْجِهَادِ لِعُذْرٍ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ نَاصِحًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فِي تَخَلُّفِهِ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ الْأَعْذَارَ كَاذِبِينَ، وَيَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ مِنْ غَيْرِ نُصْحٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ. وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّصِيحَةَ تَشْمَلُ خِصَالَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ، وَسَمَّى ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا، فَإِنَّ النُّصْحَ لِلَّهِ يَقْتَضِي الْقِيَامَ بِأَدَاءِ وَاجِبَاتِهِ عَلَى أَكْمَلِ وُجُوهِهَا، وَهُوَ مَقَامُ الْإِحْسَانِ، فَلَا يَكْمُلُ النُّصْحُ لِلَّهِ بِدُونِ ذَلِكَ، وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ بِدُونِ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ، وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ الِاجْتِهَادَ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِنَوَافِلِ الطَّاعَاتِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَيْضًا.

(١٨٦) البخاري (٧١٥٠) ، ومسلم (١٤٢)





❖ من أقوال السلف الصالح :

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: ((الْحُبُّ أَفْضَلُ مِنَ الْخَوْفِ، أَلَا تَرَى إِذَا كَانَ لَكَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا يُحِبُّكَ، وَالْآخَرُ يَخَافُكَ، فَالَّذِي يُحِبُّكَ مِنْهُمَا يَنْصَحُكَ شَاهِدًا كُنْتَ أَوْ غَائِبًا لِحُبِّهِ إِيَّاكَ، وَالَّذِي يَخَافُكَ عَسَى أَنْ يَنْصَحَكَ إِذَا شَهِدْتَ لِمَا يَخَافُ وَيَغُشُّكَ إِذَا غِبْتَ وَلَا يَنْصَحُكَ)).

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ رحمه الله: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الْخَالِصُ مِنَ الْعَمَلِ؟ قَالَ: ((مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَكَ النَّاسُ عَلَيْهِ))، قَالُوا: فَمَا النُّصْحُ لِلَّهِ؟ قَالَ: ((أَنْ تَبْدَأَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ حَقِّ النَّاسِ، وَإِنْ عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِلَّهِ، وَالْآخَرُ لِلدُّنْيَا، بَدَأْتَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى)).

قَالَ الْحَسَنُ رحمه الله: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ بِاللَّهِ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ وَيُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ)).

وَقَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ رحمه الله فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الْمُزَنِيِّ رحمه الله: ((مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ)).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: ((مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ الْأَنْفُسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ.

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رحمه الله: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((النُّصْحُ لِلَّهِ)).



وَقَالَ مَعْمَرٌ رحمه الله: كَانَ يُقَالُ:((أَنْصَحُ النَّاسِ لَكَ مَنْ خَافَ اللَّهَ فِيكَ)).

❖ معنى النصيحة :

قَالَ الْخَطَّابِيُّ[١٨٧]: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةٍ هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، قَالَ: وَأَصْلُ النُّصْحِ فِي اللُّغَةِ الْخُلُوصُ، يُقَالُ: نَصَحْتُ الْعَسَلَ: إِذَا خَلَّصْتُهُ مِنَ الشَّمْعِ. فَمَعْنَى النَّصِيحَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ: صِحَّةُ الِاعْتِقَادِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ، وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ: الْإِيمَانُ بِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ: التَّصْدِيقُ بِنُبُوَّتِهِ، وَبَذْلُ الطَّاعَةِ لَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ: إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ. انْتَهى.

(١٨٧) معالم السنن (٤|١٢٥-١٢٦) ، ط: المطبعة العلمية – حلب / الأولى



❖ شرح الحديث[١٨٨] :

حَكَى الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ فِي كِتَابِهِ " تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ " عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ فَسَّرَ هَذَا الْحَدِيثَ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهِ، وَنَحْنُ نَحْكِيهِ هَاهُنَا بِلَفْظِهِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ[١٨٩]: ((قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: جِمَاعُ تَفْسِيرِ النَّصِيحَةِ هُوَ عِنَايَةُ الْقَلْبِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ مَنْ كَانَ، وَهِيَ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا فَرْضٌ، وَالْآخَرُ نَافِلَةٌ،

---

(١٨٨) قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَتَضَمَّنُ قِيَامَ النَّاصِحِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ بِوُجُوهِ الْخَيْرِ إِرَادَةً وَفِعْلًا. فَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ تَعَالَى: تَوْحِيدُهُ وَوَصْفُهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَتَنْزِيهُهُ عَمَّا يُضَادُّهَا وَيُخَالِفُهَا، وَتَجَنُّبُ مَعَاصِيهِ، وَالْقِيَامُ بِطَاعَتِهِ وَمَحَابِّهِ بِوَصْفِ الْإِخْلَاصِ، وَالْحُبُّ فِيهِ وَالْبُغْضُ فِيهِ، وَجِهَادُ مَنْ كَفَرَ بِهِ تَعَالَى وَمَا ضَاهَى ذَلِكَ، وَالدُّعَاءُ إِلَى ذَلِكَ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ. وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ: الْإِيمَانُ بِهِ وَتَعْظِيمُهُ وَتَنْزِيهُهُ، وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَالْوُقُوفُ مَعَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَتَفَهُّمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ، وَتَدَبُّرُ آيَاتِهِ، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ، وَذَبُّ تَحْرِيفِ الْغَالِينَ وَطَعْنِ الْمُلْحِدِينَ عَنْهُ. وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَتَوْقِيرُهُ وَتَبْجِيلُهُ، وَالتَّمَسُّكُ بِطَاعَتِهِ، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا وَنَشْرُهَا وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ وَعَادَاهَا، وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَاهُ وَوَالَاهَا، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ، وَمَحَبَّةُ آلِهِ وَصَحَابَتِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ، وَتَذْكِيرُهُمْ بِهِ، وَتَنْبِيهُهُمْ فِي رِفْقٍ وَلُطْفٍ، وَمُجَانَبَةُ الْوُثُوبِ عَلَيْهِمْ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ وَحَثُّ الْأَغْيَارِ عَلَى ذَلِكَ. وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ: إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ، وَتَعْلِيمُهُمْ أُمُورَ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَسِتْرُ عَوْرَاتِهِمْ، وَسَدُّ خَلَّاتِهِمْ، وَنُصْرَتُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَالذَّبُّ عَنْهُمْ، وَمُجَانَبَةُ الْغِشِّ، وَالْحَسَدُ لَهُمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ، وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ

(١٨٩) تعظيم قدر الصلاة (٢|٦٩١) وما بعدها ، ط : مكتبة الدار - المدينة المنورة / الأولى ، ت : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي



❖ النصيحة لله ورسوله :

فَالنَّصِيحَةُ الْمُفْتَرِضَةُ لِلَّهِ: هِيَ شِدَّةُ الْعِنَايَةِ مِنَ النَّاصِحِ بِاتِّبَاعِ مَحَبَّةِ اللَّهِ فِي أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ، وَمُجَانَبَةِ مَا حَرَّمَ. وَأَمَّا النَّصِيحَةُ الَّتِي هِيَ نَافِلَةٌ، فَهِيَ إِيثَارُ مَحَبَّتِهِ عَلَى مَحَبَّةِ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَعْرِضَ أَمْرَانِ، أَحَدُهُمَا لِنَفْسِهِ، وَالْآخَرُ لِرَبِّهِ، فَيَبْدَأُ بِمَا كَانَ لِرَبِّهِ، وَيُؤَخِّرُ مَا كَانَ لِنَفْسِهِ، فَهَذِهِ جُمْلَةُ تَفْسِيرِ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ، الْفَرْضُ مِنْهُ وَالنَّافِلَةُ، وَلِذَلِكَ تَفْسِيرٌ، وَسَنَذْكُرُ بَعْضَهُ لِيَفْهَمَ بِالتَّفْسِيرِ مَنْ لَا يَفْهَمُ بِالْجُمْلَةِ. فَالْفَرْضُ مِنْهَا مُجَانَبَةُ نَهْيِهِ، وَإِقَامَةُ فَرْضِهِ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ مَا كَانَ مُطِيقًا لَهُ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ الْإِقَامَةِ بِفَرْضِهِ لِآفَةٍ حَلَّتْ بِهِ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حَبْسٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، عَزَمَ عَلَى أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مَتَى زَالَتْ عَنْهُ الْعِلَّةُ الْمَانِعَةُ لَهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ)) [التَّوْبَةِ: ٩١] ، فَسَمَّاهُمْ مُحْسِنِينَ لِنَصِيحَتِهِمْ لِلَّهِ بِقُلُوبِهِمْ لِمَا مَنَعُوا مِنَ الْجِهَادِ بِأَنْفُسِهِمْ. وَقَدْ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا عَنِ الْعَبْدِ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْهُ النُّصْحُ لِلَّهِ، فَلَوْ كَانَ مِنَ الْمَرَضِ بِحَالٍ لَا يُمْكِنُهُ عَمَلٌ بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِهِ بِلِسَانٍ وَلَا غَيْرِهِ، غَيْرَ أَنَّ عَقْلَهُ ثَابِتٌ، لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُ النُّصْحُ لِلَّهِ بِقَلْبِهِ وَهُوَ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى ذُنُوبِهِ، وَيَنْوِيَ إِنْ صَحَّ أَنْ يَقُومَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَجْتَنِبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَإِلَّا كَانَ غَيْرَ نَاصِحٍ لِلَّهِ بِقَلْبِهِ. وَكَذَلِكَ النُّصْحُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَى النَّاسِ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَمِنَ النُّصْحِ الْوَاجِبِ لِلَّهِ أَنْ لَا يَرْضَى بِمَعْصِيَةِ الْعَاصِي، وَيُحِبَّ طَاعَةَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَأَمَّا النَّصِيحَةُ الَّتِي هِيَ نَافِلَةٌ لَا فَرْضٌ، فَبَذْلُ الْمَجْهُودِ بِإِيثَارِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ بِالْقَلْبِ وَسَائِرِ



الْجَوَارِحِ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي النَّاصِحِ فَضْلٌ عَنْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ النَّاصِحَ إِذَا اجْتَهَدَ، لَمْ يُؤْثِرْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَقَامَ بِكُلِّ مَا كَانَ فِي الْقِيَامِ بِهِ سُرُورُهُ وَمَحَبَّتُهُ، فَكَذَلِكَ النَّاصِحُ لِرَبِّهِ، وَمَنْ تَنَفَّلَ لِلَّهِ بِدُونِ الِاجْتِهَادِ، فَهُوَ نَاصِحٌ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ، غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلنُّصْحِ بِكَمَالِهِ.

❖ النصيحة لكتاب الله :

وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَشِدَّةُ حُبِّهِ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ، إِذْ هُوَ كَلَامُ الْخَالِقِ، وَشِدَّةُ الرَّغْبَةِ فِي فَهْمِهِ، وَشِدَّةُ الْعِنَايَةِ لِتَدَبُّرِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِطَلَبِ مَعَانِي مَا أَحَبَّ مَوْلَاهُ أَنْ يُفْهِمَهُ عَنْهُ، أَوْ يَقُومَ بِهِ لَهُ بَعْدَ مَا يُفْهِمُهُ، وَكَذَلِكَ النَّاصِحُ مِنَ الْعِبَادِ يَفْهَمُ وَصِيَّةَ مَنْ يَنْصَحُهُ، وَإِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْهُ، عُنِيَ بِفَهْمِهِ لِيَقُومَ عَلَيْهِ بِمَا كَتَبَ بِهِ فِيهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ النَّاصِحُ لِكِتَابِ رَبِّهِ، يُعْنَى بِفَهْمِهِ لِيَقُومَ لِلَّهِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، ثُمَّ يَنْشُرُ مَا فَهِمَ فِي الْعِبَادِ وَيُدِيمُ دِرَاسَتَهُ بِالْمَحَبَّةِ لَهُ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ. وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ، فَبَذْلُ الْمَجْهُودِ فِي طَاعَتِهِ وَنُصْرَتِهِ وَمُعَاوَنَتِهِ، وَبَذْلُ الْمَالِ إِذَا أَرَادَهُ وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَأَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ: فَالْعِنَايَةُ بِطَلَبِ سُنَّتِهِ، وَالْبَحْثُ عَنْ أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، وَتَعْظِيمُ أَمْرِهِ، وَلُزُومُ الْقِيَامِ بِهِ، وَشِدَّةُ الْغَضَبِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ تَدَيَّنَ بِخِلَافِ سُنَّتِهِ، وَالْغَضَبُ عَلَى مَنْ ضَيَّعَهَا لِأَثَرَةِ دُنْيَا، وَإِنْ كَانَ مُتَدَيِّنًا بِهَا، وَحُبُّ مَنْ كَانَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ مِنْ قَرَابَةٍ، أَوْ صِهْرٍ، أَوْ هِجْرَةٍ أَوْ نُصْرَةٍ، أَوْ صُحْبَةِ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّشَبُّهِ بِهِ فِي زِيِّهِ وَلِبَاسِهِ.





❖ النصيحة لأئمة المسلمين :

وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَحُبُّ صَلَاحِهِمْ وَرُشْدِهِمْ وَعَدْلِهِمْ، وَحُبُّ اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمْ، وَكَرَاهَةُ افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّدَيُّنُ بِطَاعَتِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْبُغْضُ لِمَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ، وَحُبُّ إِعْزَازِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، وَيُشْفِقَ عَلَيْهِمْ، وَيَرْحَمَ صَغِيرَهُمْ، وَيُوَقِّرَ كَبِيرَهُمْ، وَيَحْزَنَ لِحُزْنِهِمْ، وَيَفْرَحَ لِفَرَحِهِمْ، وَإِنْ ضَرَّهُ ذَلِكَ فِي دُنْيَاهُ كَرُخْصِ أَسْعَارِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ فَوَاتُ رِبْحِ مَا يَبِيعُ مِنْ تِجَارَتِهِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَضُرُّهُمْ عَامَّةً، وَيُحِبُّ صَلَاحَهُمْ وَإِلْفَتَهُمْ وَدَوَامَ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ، وَنَصْرَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَدَفْعَ كُلِّ أَذًى وَمَكْرُوهٍ عَنْهُمْ))[190].

❖ من فقه النصيحة :

وَمِنْ أَنْوَاعِ نُصْحِهِمْ بِدَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ عَنْهُمْ إِيثَارُ فَقِيرِهِمْ وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَرَدُّ مَنْ زَاغَ مِنْهُمْ عَنِ الْحَقِّ فِي قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ بِالتَّلَطُّفِ فِي رَدِّهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالرِّفْقُ بِهِمْ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَحَبَّةً لِإِزَالَةِ فَسَادِهِمْ وَلَوْ بِحُصُولِ ضَرَرٍ لَهُ فِي دُنْيَاهُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ((وَدِدْتُ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَإِنَّ لَحْمِي قُرِضَ بِالْمَقَارِيضِ))، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله يَقُولُ: ((يَا لَيْتَنِي عَمِلْتُ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَعَمِلْتُمْ بِهِ، فَكُلَّمَا عَمِلْتُ فِيكُمْ بِسُنَّةٍ، وَقَعَ مِنِّي عُضْوٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرَ شَيْءٍ مِنْهَا خُرُوجُ نَفْسِي)).

---

(١٩٠) انتهى ما ذكره الإمام المروزي رحمه الله



❖ منهج السلف في النصح :

وَكَانَ السَّــلَفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِـيحَةَ أَحَـدٍ، وَعَظُـوهُ سِرًّا حَـتَّى قَـالَ بَعْضُـهُمْ: ((مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَـهُ وَبَيْنَـهُ، فَـهِيَ نَصِـيحَةٌ، وَمَـنْ وَعَظَـهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّمَا وَبَّخَـهُ)). وَقَـالَ الْفُضَـيْلُ رحمـه الله: ((الْمُـؤْمِنُ يَسْـتُرُ وَيَنْصَـحُ، وَالْفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ)).

وَقَـالَ عَبْـدُ الْعَزِيـزِ بْـنُ أَبِي رَوَّادٍ رحمــه الله: ((كَانَ مَـنْ كَانَ قَـبْلَكُمْ إِذَا رَأَى الرَّجُـلُ مِـنْ أَخِيـهِ شَـيْئًا يَـأْمُرُهُ فِي رِفْـقٍ، فَيُـؤْجَرُ فِي أَمْـرِهِ وَنَهْيِـهِ، وَإِنَّ أَحَدَ هَؤُلَاءِ يَخْرِقُ بِصَاحِبِهِ فَيَسْتَغْضِبُ أَخَاهُ وَيَهْتِكُ سِتْرَهُ)).

وَسُـئِلَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَـا، عَـنْ أَمْـرِ السُّـلْطَانِ بِـالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِـهِ عَـنِ الْمُنْكَـرِ، فَقَـالَ: ((إِنْ كُنْـتَ فَـاعِلًا وَلَابُـدَّ، فَفِيمَـا بَيْنَـكَ وَبَيْنَهُ))[١٩١].

وَقَـالَ الْإِمَـامُ أَحْمَـدُ رَحِمَـهُ اللَّهُ: ((لَـيْسَ عَلَى الْمُسْـلِمِ نُصْـحُ الذِّمِّيِّ، وَعَلَيْـهِ نُصْحُ الْمُسْلِمِ)).

❖ مما يختص به أهل العلم :

وَمِـنْ أَنْـوَاعِ النُّصْـحِ لِلَّهِ تَعَـالَى وَكِتَابِـهِ وَرَسُـولِهِ - وَهُـوَ مِمَّـا يَخْـتَصُّ بِـهِ الْعُلَمَـاءُ - رَدُّ الْأَهْـوَاءِ الْمُضِـلَّةِ بِالْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ، وَبَيَـانُ دَلَالَتِهِمَـا عَلَى مَـا يُخَـالِفُ الْأَهْـوَاءَ كُلَّهَـا وَكَـذَلِكَ رَدُّ الْأَقْـوَالِ الضَّـعِيفَةِ مِـنْ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ، وَبَيَانُ دَلَالَةِ الْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ عَلَى رَدِّهَـا، وَمِـنْ ذَلِـكَ بَيَـانُ مَـا

(١٩١) أخرجه: سعيد بن منصور في "سننه " (٨٤٦) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٧٥٩٢) .



صَحَّ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَمْ يَصِحَّ مِنْهُ بِتَبْيِينِ حَالِ رُوَاتِهِ وَمَنْ تُقْبَلُ رِوَايَاتُهُ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا تُقْبَلُ، وَبَيَانُ غَلَطِ مَنْ غَلَطَ مِنْ ثِقَاتِهِمْ الَّذِينَ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُمْ.

❖ وجوب الرد على المخالف بأدب وإحسان[١٩٢] :

ومَنْ عُرف منه أنه أراد بردِّه عَلَى العُلَمَاء النصيحةَ لله ورسوله، فإنه يجب أن يُعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمَّة المسلمين الذين سبق ذكرهم وأمثالهم ومن اتبعهم بإحسان.

ومن عرف أنه أراد بردِّه عليهم التنقص والذم، وإظهارَ العيب، فإنه يستحقُّ أن يُقابل بالعُقوبة ليرتدعَ هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة.

ويُعرف هذا القصدُ تارة بإقرار الرادِّ واعترافه، وتارة بقرائن تُحيطُ بفعله وقوله، فمن عُرفَ منه العِلْم والدينُ وتوقيرُ أئمة المسلمينَ واحترامهم، ولم يذكر الردَّ وتبيين الخطأ إلا عَلَى الوجه الَّذِي ذكره غيره من أئمة العُلَمَاء.

وأما في التصانيف، وفي البحث، وجب حملُ كلامِهِ عَلَى الأول وأنه إِنَّمَا يقصد بذلك إظهار الدين والنصح لله ورسوله والمؤمنين، ومن حَمَل كلامه -والحال عَلَى ما ذُكر- فهو ممَّن يظنُّ بالبريء ظن السوء، وذلك من الظن الَّذِي حرمه اللهُ ورسولُه، وهو داخلٌ في قوله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا

---

(١٩٢) مجموع الرسائل (٢|٤٠٨-٤٠٩)





وَإِثْمًا مُبِينًا))[النساء: ١١٢] ، فإن الظن السوءَ ممن لا يظهر منه أمارات السوء ممَّا حرَّمه الله ورسولُه، فقد جَمَع هذا الظان بين اكتساب الخطيئة والإثم ورَمْي البريء بها. ويقوِّي دخوله في هذا الوعيد إذا ظهرت منه -أعني هذا الظانَّ- أماراتُ السوء، مثلُ: كثرة البغي والعُدوان، وقلَّة الوَرَع وإطلاق اللسان، وكثرة الغيبة والبُهتان، والحَسَد للناس عَلَى ما آتاهم الله من فضله والامتنان، وشدة الحرص عَلَى المُزاحمة عَلَى الرياسات قبل الأوان.

ومن عُرِفَ منه هذه الصفات، التي لا يرضى بها أهل العِلْم والإيمان، فإنه إِنَّمَا يحمل تعرضه للعلماء، وردُّه عليهم عَلَى الوجه الثاني فيستحقُّ حينئذ مقابلته بالهوان، ومن لم تظهر منه أماراتٌ بالكليَّة تدلُّ عَلَى شيء، فإنَّه يجب أن يُحمل كلامُه عَلَى أحسن محملاته، ولا يجوزُ حملُه عَلَى أسوأ حالاته.

وقد قال عُمَرُ رضي الله عنه: ((لا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك المسلم سوءًا وأنت تجدُ لها في الخير محملاً))[١٩٣]

(١٩٣) أخرجه المحاملي في "أماليه" (٤٦٠).





١٧- فقه الموعظة[١٩٤] :

❖ حاجة العباد للموعظة :

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَعِظُ أَصْحَابَهُ فِي غَيْرِ الْخُطَبِ الرَّاتِبَةِ، كَخُطَبِ الْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ، وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ، فَقَالَ: ((وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)) [النِّسَاءِ: ٦٣] ، وَقَالَ: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)) [النَّحْلِ: ١٢٥] ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَا يُدِيمُ وَعْظَهُمْ، بَلْ يَتَخَوَّلُهُمْ بِهِ أَحْيَانًا، كَمَا فِي " الصَّحِيحَيْنِ "[١٩٥] عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهَةَ أَنْ أُمِلَّكُمْ، ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا)) .

❖ البلاغة في الموعظة :

وَالْبَلَاغَةُ فِي الْمَوْعِظَةِ مُسْتَحْسَنَةٌ، لِأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى قَبُولِ الْقُلُوبِ وَاسْتِجْلَابِهَا، وَالْبَلَاغَةُ: هِيَ التَّوَصُّلُ إِلَى إِفْهَامِ الْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ، وَإِيصَالُهَا إِلَى قُلُوبِ السَّامِعِينَ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا، وَأَفْصَحِهَا وَأَحْلَاهَا لِلْأَسْمَاعِ، وَأَوْقَعِهَا فِي الْقُلُوبِ. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُرُ خُطْبَتَهَا، وَلَا يُطِيلُهَا، بَلْ كَانَ يُبْلِغُ وَيُوجِزُ.

(١٩٤) جامع العلوم والحكم (٢|١١١-١١٢)

(١٩٥) البخاري (٦٨) ، مسلم (٢٨٢١)





وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ "[١٩٦] عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: ((كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا)) .

وَخَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ[١٩٧] وَلَفْظُهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُوَ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ» .

وَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ[١٩٨] مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا عَمَّارٌ رضي الله عنه فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ، قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، فَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» .

---

(١٩٦) البخاري (٨٦٦)

(١٩٧) برقم (١١٠٧) ، وحسنه الإمام الألباني

(١٩٨) برقم (٨٦٩)





١٨- لا تستوحش الطريق[١٩٩] :

❖ غربة الدين :

خـرج مسـلم في "صـحيحه" [٢٠٠] مـن حـديث أبي هريـرة رضي الله عنـه، عن النبي -صلى الله عليـه وسـلم- قـال: ((بَـدَأَ الْإِسْـلَامُ غَـرِيبًـا، وَسَـيَعُودُ غَـرِيبًـا كَمَـا بَـدَأَ، فَطُـوبَى لِلْغُرَبَـاءِ))، ومـن حـديث ابـن عمـر رضي الله عنهما [٢٠١]، عن النبي -صـلى الله عليـه وسـلم- قـال: ((إِنَّ الْإِسْـلَامُ غَـرِيبًـا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ)).

❖ معنى غربة الدين :

فقـوله -صـلى الله عليـه وسـلم-: ((بَـدَأَ الْإِسْـلَامُ غَرِيبًـا)) يريـد بـه أن الناس كانوا قبـل مبعثـه -صـلى الله عليـه وسـلم- عَلَى ضـلالة عامـة، كمـا قال النبي -صـلى الله عليـه وسـلم- في حـديث عيـاض بـن حمـار رضي الله عنـه الَّذِي خرجـه مسـلم [٢٠٢]: ((إِنَّ اللهَ نَظَـرَ إِلَى أَهْـلِ الْأَرْضِ فَمَقَـتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)).

فلما بُعث النـبي -صـلى الله عليـه وسـلم- ودعا إِلَى الإسـلام لـم يسـتجيب في أول الأمـر إلا الواحـد بعـد الواحـد مـن كل قبيلـه، وكان المسـتجيب له خائفًا مـن عشـيرته وقبيلتـه، يـؤذى غايـة الأذى، وينـال منـه وهـو صـابر عَلَى ذلـك في الله عـز وجـل، وكان المسـلمون إذ ذاك مستضـعفين، يطـردون ويشـردون كل مشـرد، ويهربـون بـدينهم إِلَى البـلاد النائيـة، كمـا هـاجروا

---

(١٩٩) مجموع الرسائل (٣٢٠\١) وما بعدها تلخيصاً

(٢٠٠) برقم (١٤٥).

(٢٠١) أخرجه مسلم (١٤٦)، وزاد: وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إِلَى حجرها.

(٢٠٢) برقم (٢٨٦٥).



إِلَى الحبشة مرتين، ثـم هـاجروا إِلَى المدينـة، وكان مـنهم مـن يعـذب في الله، وفيهم من قتل، فكان الداخلون فى الإسلام حينئذٍ غرباء.

ثم ظهر الإسـلام بعـد الهجـرة إِلَى المدينـة وعـزّ، وصـار أهلـه ظـاهرين كل الظهـور، ودخـل النـاس بعـد ذلـك في ديـن الله أفواجًـا، وأظهـر الله لهـم الدين، وأتم عليهم النعمة.

وتوفي النبي -صلى الله عليـه وسـلم- والأمـر عَلَى ذلـك، وأهـل الإسـلام عَلَى غاية من الاستقامة.

في دينهم وهم متعاضـدون متنـاصرون، وكانـوا عَلَى ذلـك في زمـن أبي بكـر وعمر رضي الله عنهما.

❖ سببا الاختلاف في الدين :

ثـم أعمـل الشـيطان مكائـده عَلَى المسـلمين، وألـقى بأسـهم بيـنهم، وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشـبهات، ولـم تـزل هاتـان الفتنتـان لتزايـدان شـيئًا فشيئًا، حتى اسـتحكمت مكيـدة الشـيطان، وأطاعـه أكـثر الخلـق، فمهـنم مـن دخـل في طاعتـه في فتنـة الشـبهات، ومـنهم مـن دخـل في فتنـة الشهوات، ومـنهم مـن جمـع بينهمـا، وكل ذلـك ممـا أخـبر النـبي -صـلى الله عليه وسلم- بوقوعه.

أ- فأما فتنة الشـبهات، فقـد روي عنـه -صـلى الله عليـه وسـلم- مـن غير وجه أن أمته سـتفترق عَلَى أزيـد مـن سـبعين فرقـة، عَلَى خـلاف الروايـات في عـدد الزائـد عَلَى السـبعين، وأن جميـع تلـك الفـرق في النار إلا فرقة واحدة، وهي من كان عَلَى ما هو عليه وأصحابه.





ب- وأما فتنة الشهوات، ففي "صحيح مسلم" (٢٠٣)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((كَيفَ أَنتُمْ إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟)) فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ. قَالَ: ((أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ))

فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين أو إحداهما أصبحوا متقاطعين متباغضين، بعد أن كانوا إخوانًا متحالين متواصلين، فإن فتنة الشهوات عمت غالب الخلق، فافتتنوا بالدنيا وزهرتها، وصارت غاية قصدهم، لها يطلبون، وبها يرضون، ولها يغضبون، ولها يوالون، وعليها يعادون، فقطعوا لذلك أرحامهم، وسفكوا دماءهم، وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك.

وأما فتنة الشبهات والأهواء الضلة فبسببها تَفَرَّقَ أهل القبلة، وصاروا شيعًا، وكفَّر بعضهم بعضًا، وصاروا أعداءً وفرقًا وأحزابًا، بعد أن كانوا إخوانًا قلوبهم عَلَى قلب رجل واحدٍ

❖ الفرقة الناجية :

فلم ينج من هذه الفرق إلا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى

(٢٠٣) برقم (٢٩٦٢).





الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، أَوْ خَالَفَهُم حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ)) (٢٠٤).

وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يصلحون إذا فسد الناس، وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن، وهم النُّزَّاع من القبائل؛ لأنهم قلُّوا، فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد، كما كان الداخلون إِلَى الإسلام في أول الأمر كذلك، وبهذا فسر الأئمة هذا الحديث.

❖ من أقوال السلف في غربة الدين :

قال الأوزاعي رحمه الله في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»: ((أما إنه ما يذهب الإسلام، ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد)).

ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف كثيرًا مدح السنة ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقلة، فكان الحسن البصري رحمه الله يقول لأصحابه: ((يا أهل السنة، ترفقوا، رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس)).

وقال يونس بن عبيد رحمه الله: ((ليس شيء أغرب من السنة، وأغرب منها من يعرفها)). وروي عنه أنه قال: ((أصبح من إذا عرف السنة فعرفها غريبًا، وأغرب منه من يعرفها)).

---

(٢٠٤) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٥٢٤).



وعن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: ((استوصوا بأهل السنة خيرًا، فإنهم غرباء)).

ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: طريقة النبي -صلى الله عليه وسلم- التي كان هو وأصحابه عليها، السالمة من الشبهات والشهوات.

ولهذا كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: ((أهل السنة من عرف ما يدخل بطنه من حلال، وذلك لأنّ أكل الحلال من أعظم خصال السنة التي كان عليها - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه رضي الله عنهم)).

ومن كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي -وكان من كبار العارفين في زمان أبي سليمان الداراني رحمه الله: ((إني أدركت من الأزمنة زمانًا عاد فيه الإسلام غريبًا كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريبًا كما بدأ، إن ترغب فيه إِلَى عالم وجدته مفتونًا بحب الدُّنْيَا، يحب التعظيم والرئاسة، وإن ترغب فيه إِلَى عابد وجدته جاهلاً في عابدته مخدوعًا، صريع عدوه إبليس، قد صعد به إِلَى أعلى درجة العبادة، وهو جاهل بأدناها، فكيف له بأعلاها؟! وسائر ذلك من الرعاع قبيح أعوج، وذئاب مختلفة، وسباعٌ ضارية، وثعالب صائلة، هذا وصف عيون أهل زمانك من حملة أهل العِلْم والقرآن ودعاة الحكمة))

فهذا وصف أهل زمانه، فكيف بما حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله، ولم تَدُر في خياله؟!





❖ الغرباء قسمان :

وهؤلاء الغرباء قسمان: أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس، والثاني: من يصلح ما أفسد الناس من السنة، وهو أعلى القسمين وأفضلها[(٢٠٥)].

(٢٠٥) نصيحة تكتب بماء الذهب : قَالَ الإمام مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْلُغَ مَرَاتِبَ الْغُرَبَاءِ فَلْيَصْبِرْ عَلَى جَفَاءِ أَبَوَيْهِ وَزَوْجَتِهِ وَإِخْوَانِهِ وَقَرَابَتِهِ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَ يَجْفُونِي وَأَنَا لَهُمْ حَبِيبٌ وَغَمُّهُمْ لِفَقْدِي إِيَّاهُمْ إِيَّايَ شَدِيدٌ ، قِيلَ: لِأَنَّكَ خَالَفْتَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّهِمُ الدُّنْيَا وَشِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَيْهَا ، وَلِتَمَكُّنِ الشَّهَوَاتِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، مَا يُبَالُونَ مَا نَقَصَ مِنْ دِينِكَ وَدِينِهِمْ إِذَا سَلِمَتْ لَهُمْ بِكَ دُنْيَاهُمْ ، فَإِنْ تَابَعْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ كُنْتَ الْحَبِيبَ الْقَرِيبَ ، وَإِنْ خَالَفْتَهُمْ وَسَلَكْتَ طَرِيقَ أَهْلِ الْآخِرَةِ بِاسْتِعْمَالِكَ الْحَقَّ جَفَا عَلَيْهِمْ أَمْرُكَ ، فَالْأَبَوَانِ مُتَبَرِّمَانِ بِفِعَالِكَ ، وَالزَّوْجَةُ بِكَ مُتَضَجِّرَةٌ فَهِيَ تُحِبُّ فِرَاقَكَ وَالْأَخَوَانِ وَالْقَرَابَةُ فَقَدْ زَهِدُوا فِي لِقَائِكَ ، فَأَنْتَ بَيْنَهُمْ مَكْرُوبٌ مَحْزُونٌ ، فَحِينَئِذٍ نَظَرْتَ إِلَى نَفْسِكَ بِعَيْنِ الْغُرْبَةِ ، فَآنَسْتَ مَا شَاكَلَكَ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَاسْتَوْحَشْتَ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَقْرِبَاءِ فَسَلَكْتَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَحْدَكَ فَإِنْ صَبَرْتَ عَلَى خُشُونَةِ الطَّرِيقِ أَيَّامًا يَسِيرَةً وَاحْتَمَلْتَ الذُّلَّ وَالْمُدَارَاةَ مُدَّةً قَصِيرَةً وَزَهِدْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْحَقِيرَةِ أَعْقَبَكَ الصَّبْرُ أَنْ وَرَدَ بِكَ إِلَى دَارِ الْعَافِيَةِ ، أَرْضُهَا طَيِّبَةٌ وَرِيَاضُهَا خَضِرَةٌ وَأَشْجَارُهَا مُثْمِرَةٌ وَأَنْهَارُهَا عَذْبَةٌ ، فِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَهْلُهَا فِيهَا مُخَلَّدُونَ ، ((يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ. وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ. وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)) [المطففين: ٢٦] ،((وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الواقعة: ١٨])) [الغرباء للآجري (ص٣٩) ، ط : دار الخلفاء للكتاب الإسلامي]





أبيات في العلم[٢٠٦]

❖ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

يا طالبَ العلم، صارمْ كلَّ بطال ... وكل غادٍ إلى الأهواء مَيَّالِ
واعمل بعلمك سرا أو علانية ... ينفعك يوما على حال من الحالِ
ولا تميلنَّ يا هذا إلى بدعتضل أصحابها بالقيل والقالِ
خذ ما أتاك به ما جاء من أثر ... شِبهًا بشبهٍ وأمثالا بأمثالِ
ألا فكنْ أثريا خالصا فهما ... تعشْ حميدا ودَعْ آراء ضلالِ

****

❖ قال أَبُو القاسم بن السمرقندي: كنَّا في مجلس أبي محَمد - رزق الله التميمي، فأنشدنا: -

فما تَنفعُ الآداب والعلم والحِجى ... وصَاحِبُها عند الكمال يمُوت
كما مات لقمان الحكيم وغيره ... كلُّهم تحتَ التراب صُمُوت

وكان هبة الله السقطي في المجلس حاضرًا، فأجابه ببيتين، وأنشدناهما من لفظه لنفسه:

بلى أثرٌ يبقى له بَعدَ موته ... وذخرٌ له في الحشر ليس يفوت
وَمَا يستوي المنطيق ذو العلم والحجى ... وأخرس بين الناطقين صمُوت

****

(٢٠٦) ذكرها الحافظ في "ذيل طبقات الحنابلة "





❖ قال عبد المغيث بن زهير الحربي :

العلم يحيي أناسا في قبورهم ... والجهل يلحق أحياء بأموات

****

❖ قال الإمام العالم جمال الدين عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَبْد المنعم بْن نعمة :

يا طالبا علم خير العلم مجتهدا ... علم الْحَدِيث تحوز اليمن والرشدا
مَا فِي العلوم لَهُ مثل يماثله ... فاطلبه مقتصدا، تسعد بِهِ أبدا
فالفقه يبنى عَلَيْهِ، حيث كَانَ إذ ... الأَحْكَام مأخذها منه إِذَا وجدا
وكيف لا؟ وَهُوَ لولاه لما اتضحت ... سبل الرشاد، ولا بان الزمان هدى
وأهله خير أهل العلم قاطبة ... فكن محبا لَهُمْ كيما تفوز غدا
ترى سواهم إِذَا جاء الْحَدِيث لما ... قالوه متبعا مَا تبسطن يدا
أَوْ كَانَ متنا تراهم راجعين إِلَى ... أقوالهم، وكذا إِن أسندوا سندا
لولاهم زاد قوم فِي الشريعة مَا ... شاءوا، ولكن حماها كونهم أسدا
هل يستوي من نأى عَن أرضه طلبا ... لَهَا، وآخر عَن تحصيلها قعدا؟
شتان بَيْنَ امرئٍ ثاوٍ بموطنه ... وبين من كَانَ عَن أوطانه بعدا
ومن ضرورة تفضيل الْحَدِيث عَلَى ... سواه: أَن لا يرى شبها لَهُمْ أحدا
شانيهم لا لقيت الدهر محمدة ... ولا وُقيت مصاباً لا ولا فندا

****





تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله حمدا يملا السموات والارض ومابينهما وما شاء ربنا من شيء بعد بمجامع حمده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم عدد ما حمد الحامدون وغفل عن ذكره الغافلون وعدد ما جرى به قلمه واحصاه كتابه واحاط به علمه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين وعلى سائر الانبياء والمرسلين ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



المراجع

١. جامع العلوم والحكم :

أ- ط : الرسالة / السابعة ، ت : الأرناؤوط ، وباجيس

ب- ط : الخنساء/الأولى ، ت : د.ماهر ياسين الفحل

٢. فتح الباري لابن رجب/الأولى ، ط : مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية ، ت : مجموعة من المحققين .

٣. مجموع رسائل ابن رجب ، ط : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ت : أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني

٤. مسند أحمد ، ط: مؤسسة الرسالة / الأولى

٥. صحيح البخاري ، ط : دار طوق النجاة

٦. صحيح مسلم ، ط : دار إحياء التراث ، ت : محمد فؤاد عبدالباقي

٧. صحيح وضعيف سنن أبي داود ، ت : الألباني

٨. صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ت : الألباني

٩. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ، ت : الألباني

١٠. شذرات الذهب لا بن عماد الحنبلي ، ت : محمود الأرناؤوط ، ط : دار ابن كثير –دمشق

١١. ذيل طبقات الحنابلة ، ط : مكتبة العبيكان/الأولى ، ت : د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين

١٢. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ، ط : دار العاصمة / الأولى ، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله





١٣.سـير أعـلام النـبلاء للإمـام الذهـبي ، النـاشر : مؤسسـة الرسـالة / الثالثة ، ت : شعيب الأرناؤوط ومجموعة من المحققين





الفهرس



(٢٠٧) يقصد ب"ت" : تعليق في هامش الكتاب








الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE







